

كلمة صغيرة
الشيء من معدنه لا يستغرب

الهجمة الشرسة التي يقوم بها التجمع العلماني بشتى فئاته اليسارية
الموتورة
والليبرالية العميلة ضد الإسلاميين في أكثر البلاد الإسلامية لم تعد مجهولة
لأحد ؛
فالتحزب ضد كل توجه إسلامي ، والعمل المتواصل لتشويه منابعه ،
وإثارة
الشبهات ضد كل العاملين للإسلام ، واستعداد الكل ضدهم عبر صحفهم
العلمانية
التافهة ، وبالتالي : تجيير كل عمل إرهابي بأنه من صنعهم ، حتى وإن كان
زوراً
وبهتاناً ، مثل : تلك الأساليب الخسيسة التي تتم عن مكر وعداء مستحكم
للإسلام
وأهله ، معروفة أهدافها القريبة والبعيدة : وهي الاستماتة في منع المد
الإسلامي ،
والعمل المتواصل لتشويه طروحاته الحيوية ، والمحاولات الجنونية
للحيلولة دون
تأثير الشارع الإسلامي بدعوته ، ومن ثم منعه من الوصول إلى مراكز
التأثير
ولو عبر ديمقراطياتهم الزائفة .
إن اختلاف الحيل والدعاوى التي أصبحت مكرورة وممجوجة ضد
دعاة
الإسلام لم تعد تنطلي إلا على السذج والبسطاء ...
فالإسلام قادم رغم السدود والقيود بعز عزيز أو بذل ذليل .

افتتاحية العدد سيهزم الجمع ويولون الدبر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي - صلى الله عليه وسلم - بعده ، أما بعد :

يحزن كل مسلم مخلص غيور ويغتم ، عندما يرى تداعي الأمم الكافرة من كل صوب على القصعة الإسلامية الحافلة الآن بصنوف المذابح التي تنتهك فيها الحرمات والأعراض ، ويداس فيها على كرامة أمة غفلت عن وعيها .

فالتجمعات السياسية والتحالفات العسكرية والدعاية العالمية تتفق جميعها على هدف واحد : هو القضاء على المد الإسلامي المتصاعد في جميع أرجاء الأرض ، وذلك تحت مسمى القضاء على الأصولية والتطرف والإرهاب .. يتفقون على ذلك الهدف وإن اختلفت مللهم ومناهجهم ومصالحهم ... يتفقون على ذلك الهدف وإن اختلفت نظرتهم وخططهم في الاستئصال والاجتثاث أو التذويب والاحتواء والمسح .

ولكن المؤمن الواثق بربه ، العالم بدينه ، الواعي بسننه ، يرى في الغيوم غيثاً واصباً ، ويسمع في صراخ المخاض صيحات الوليد ، ويدرك أنه ما أتى فجر إلا بعدما احلولكت الظلمة .

وهذا ما علمنا إياه قرآننا الذي يخشون فهمه وتدبره :

فيوسف (عليه الصلاة والسلام) « بدأ التمكين له عندما كان يباع ويشترى ، وحيداً شريداً ضعيفاً ؛ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَأُتُوا فِيهِ مِنَ الرَّاهِدِينَ * وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [يوسف : 20 ، 21] .

ولوط (عليه الصلاة والسلام) « جاءت النجاة عندما كان قومه يتأهبون للتخلص منه بسبب طهره ، فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَائِبِينَ »

[النمل : 56 ، 57] .

وأصحاب موسى (عليه الصلاة والسلام) : بدأ التمكين لهم وهم في أشد حالات الاستضعاف : يُذبحُ أبناءهم ويُستَحْيَا نساؤهم ، وكان فرعون في أعلى حالات الجبروت والإفساد : **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ *** **وَيُرِيدُ أَنْ يَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ *** **وَيُمْكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ** [القصص : 4 ، 6] .

هكذا نتعلم من كتاب ربنا : أن أقصى نقطة استضعاف هي أول نقطة تمكين بشرط أن تكون حالة الفئة المستضعفة في أعلى نقطة إخلاص وارتباط بالله ولجوء إليه ، وبعد ذلك تظهر الأسباب التي ينبغي على الطائفة المؤمنة السعي إليها واستغلالها ... وهذا ما وعاه المؤمنون من أصحاب طالوت بعد سنوات التيه الذي كان بسبب ذنوب ومعاصي وتمرد بني إسرائيل على أوامر الله : **.. قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ عَلَبْتُ فِتْنَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ *** **وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا** **وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ *** **فَهَرَمُوهُمْ يَأْذِنُ اللَّهُ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَئِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** [البقرة 249-251] .

وفي ضوء هذا ، نستطيع أن ننظر نظرة مختلفة إلى الأحداث الجارية بعد أن نعيها ونعي مراميها ، ونستطيع أيضاً إدراك أن لكل منا دوراً في الذب عن دين الله : للعالم والجاهل ، والكبير والصغير ، والقوي والضعيف ، والغني والفقير . لقد ساعدت الهجمة الأممية الشرسة المتواصلة وما صاحبها من بغض وضغينة ظاهرين على العالم الإسلامي على القيام بدور الصدمات الكهربائية اللازمة لإفاقة هذا

العالم من غيبوته الطويلة ، فأخذ يتململ من سباته ، رغم الجهود الإعلامية الحثيثة
لتخفيف أثر هذه الصدمات ، أو مصاحبتها بمسكنات للألم ، أو إفراغ أثرها في
مجرى تغييب الأمة عن رسالتها الحقة .
فالوحشية الصربية والمؤامرة الدولية الماكرة المصاحبة لها نبهتنا أنه
ما زال
لنا عرق ينبض في قلب أوروبا ، والاحتياح الروسي لأرض الشيشان وما
أعقبه من
دك همجي ذكّر المسلمين من أهلها الذين ولدوا في عنفوان الحقبة
الماركسية الطاغية
بأن لهم أصولاً إسلامية وتاريخاً إسلامياً ينبغي الاعتزاز به والعودة إليه
ومحاربة
أعدائه ، وهدم المساجد في الهند أرباباً أن لهذه المساجد حماة يذودون
عنها بأجسادهم
النحيلة العارية .
إننا نعود ونؤكد أن من السذاجة أن تنتظر من أعدائنا أن يحنوا علينا
ويرفقوا
بنا ، وأن مكرهم وتحالفهم وتكالبهم لا يقلق المؤمن الواعي ﴿ وَلَمَّا رَأَى
الْمُؤْمِنُونَ
الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ
إِلَّا إِيمَانًا ﴾ [الأحزاب : 22] ، ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ
جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران :
173] .
ولكن الذي يقلق حقاً هو تردي حالنا ؛ بالانقطاع عن الله ، والغثائية ،
وتمكن
حب الدنيا والوهن من قلوبنا ، وتفشي السلبية والعجز بيننا ، وسيطرة
الإحباط
والياس على نفوسنا ؛ فالضعف الداخلي هو أول خطوات
الانهيار .
وإذا كانت قوى الكفر تملك مقدرات البطش العسكري ، والهيمنة
السياسية ،
والتقدم التقني ، والتأثير الإعلامي ، فإنها تحمل أيضاً عوامل ضعف
وتحلل في
مجتمعاتها ، وهي لا تملك إرادتنا وعزيمتنا على التغيير والإصلاح ، ولا تملك
قدر
الله وإرادته النافذة في ملكه وملكوته .
يوم بدر ، بعد أن أحكم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما أمكنه
من أسباب

مادية للنصر ، وبعد أن جهز الفئة المؤمنة القليلة : بات ليلته يتضرع إلى الله « فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه » .. « فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ألححت على ربك وهو يثب في الدرع فخرج وهو يقول : **سيهزم الجمع ويولون الدبر** » .

وهزم الجمع وولوا الدبر .

هذا وعد الله ... ولكن هل نستحق نصره ؟

وَإِنَّ اللَّهَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِقُونَ [النور : 55] .

دراسات شرعية المنهج العلمي للاستدلال (1)

بقلم : أحمد بن عبد الرحمن الصويان

يعتمد المنهج العلمي للاستدلال عند أهل السنة والجماعة على كتاب الله (تعالى) ، وسنة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- ، وإجماع السلف الصالح (رضي الله عنهم) .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : 59] .
وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى : 10] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : 7] .
والاعتماد على الأصول الثلاثة المعصومة هو أساس دين الإسلام ، ويرتكز على القواعد التالية :

القاعدة الأولى : تعظيم النصوص الشرعية والانقياد لها .

القاعدة الثانية : الاعتماد على الأحاديث الصحيحة .

القاعدة الثالثة : صحة فهم النصوص .

وفي هذه المقالة سأحدث عن هذه القواعد الثلاث بشيء من الإيجاز ، مبيناً منهاج أهل السنة في الاستدلال ، وفي الحلقة التالية سأحدث عن منهج المبتدعة في الاستدلال ، وقواعدهم في التلقي .

القاعدة الأولى : تعظيم النصوص الشرعية :

إن أصل دين الإسلام الذي ارتضاه الله (تعالى) لعباده المؤمنين الاستسلام والخضوع والانقياد ، قال الله (تعالى) : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر : 54] .

وحقيقة الاستسلام : تعظيم أمر الله (سبحانه وتعالى) ونهيه ، والوقوف عند

حدود ما أنزله على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- ، قال الله (تعالى) : ﴿ ذَلِكَ

وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَفْوَى الْقُلُوبِ [الحج : 32] . فكل ما أمر به الشارع أو نهى عنه ، فحقه التعظيم والإجلال والامتنان ، قال الله (تعالى) :

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [النور : 51]
فإذا جاء الأمر من الله فلا مجال للاختيار أو التردد ، قال الله (تعالى) :

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ [

[الأحزاب : 36] . وقد نفى الله (عز وجل) الإيمان بالكلية عمن أعرض عن حكم

النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يرض به ، أو وجد في نفسه حرجاً من ذلك ، قال

الله (تعالى) : [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] [النساء : 65] .
وقد توعد الله سبحانه وتعالى المخالفين لأوامره بقوله : [فَلْيَحْذَرِ

الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] [النور : 63] .

منهج السلف الصالح في تعظيم النصوص :

سطر السلف الصالح (رضي الله عنهم) أروع الأمثلة وأصدق الصفات في

الالتزام بأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- وتعظيمه ، والوقوف عند حدوده بدون

زيادة أو نقصان ، ومن أمثلة ذلك :

* عن أبي قتادة قال : كنا عند عمران بن حصين في رهط منا ، وفيما

بُشِير بن كعب فحدثنا عمران يومئذ فقال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :

« الحياء خير كله » أو قال : « الحياء كله خير » ، قال بشير : إنا لنجد في

بعض الكتب أو الحكمة : أن منه سكينه ووقاراً لله ، ومنه ضعف ! قال : فغضب

عمران حتى احمرتا عيناه ، وقال أراني أحدثك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وتعارض فيه ؟ ! قال : فأعاد عمران الحديث ، قال : فأعاد بشير ، فغضب عمران . قال : فمارلنا نقول فيه : إنه منا يا أبا نجيد ، إنه لا بأس به ! !

[1] يعني : أنه

ليس متهماً بالنفاق ! ! .

* وعن عبد الله بن مُعَقَّل (رضي الله عنه) : أنه رأى رجلاً من أصحابه يخذف . فقال له : لا تخذف ، فإنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يكره أو قال ينهى عن الخذف ؛ فإنه لا يُصطاد به الصيد ، ولا ينكأ به العدو ، ولكنه يكسر السن ويفقأ العين ، ثم رآه بعد ذلك يخذف ! فقال له : أخبرك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يكره أو ينهى عن الخذف ، ثم أراك تخذف ، لا أكلمك كذا وكذا .. !^[2] .

* عن قبيصة الشامي : أن عبادة بن الصامت خرج مع رجل إلى أرض الروم ، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كسرة الذهب بالدنانير ، وكسرة الفضة بالدراهم ، فقال : يا أيها الناس إنكم تأكلون الربا ، سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : « لا تَبَايعُوا الذهب إلا مثلاً بمثلٍ لا زيادة بينهما ولا تَظَرُّة » . فقال رجل : لا أرى الربا يكون في هذا إلا ما كان من نظرة ! فقال عبادة : أحدثك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتحدّثني عن رأيك ؟ ! لئن أخرجني الله لا أسألك بأرض لك عليّ فيها إمرة ، فلمّا قفل لحق بالمدينة ، فقال له عمر : **ما أقدمك يا أبا الوليد ؟ !** فقص عليه القصة ، فقال : ارجع إلى أرضك وبلدك لا إمرة له عليك ، فقيح الله أرضاً لست فيها وأمثالك^[3] .

* وحدّث أبو معاوية الضرير عند هارون الرشيد بحديث أبي هريرة :

» احتج آدم وموسى « ، فقال أحد الحاضرين : كيف هذا ، وبين آدم وموسى ما بينهما ؟ ! قال : فوثب هارون ، وقال : يُحدّثك عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتعارض بكيف ؟ ! فما زال يقول حتى سكّته عنه^[4] .

* وقال رجلٌ للزهري : يا أبا بكر : حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « ليس منّا من لطم الخدود ، وليس منا من لم يوقر كبيرنا » ، وما أشبه هذا الحديث ؟ ! فأطرق الزهري ساعة ، ثم رفع رأسه فقال : « من الله (عز وجل) العلم ، وعلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- البلاغ ، وعلينا التسليم »^[5] .

* من أجل ذلك كله كان السلف الصالح (رضي الله عنهم) في أشد التثبت

والتحري والتوقي في فعل السنة ، فلا يفعلون شيئاً إلا بعلم صحيح ، فهذا هو ذا

رجلٌ يعطس إلى جنب عبد الله بن عمر ، فيقول : الحمد لله ، والسلام على رسول

الله -صلى الله عليه وسلم- ، فقال له عبد الله بن عمر : « وأنا أقول : الحمد لله

والسلام على رسول الله ، وليس هكذا علمنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ،

علمنا أن نقول : الحمد لله على كلِّ حال » [6] .
* ونظير هذا أن سعيد بن المسيب رأى رجلاً يُصلي بعد طلوع الفجر

أكثر من ركعتين ، يُكثر فيهما الركوع والسجود ، فنهاه ، فقال : يا أبا محمد ، يعذبني الله

على الصلاة ؟ ! فقال : « لا .. ولكن يُعذبك على خلاف السنة » [7] .
وأمثلة هذا الباب كثيرة جداً ، وفيما ذكر كفاية إن شاء الله لبيان المقصود .

وبهذا يتبين أن الكتاب والسنة هما أصل الاستدلال ، وهما المعيار الذي توزن به

الآراء والاجتهادات ، ولا يستقيم إيمان المرء إلا بتعظيمهما وامثال ما دلا عليه من

القول والفعل والاعتقاد ، ويُلخص الطحاوي منهج أهل السنة بقوله : « ولا تثبت قدم

الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام ، فمن رام علم ما حظر عنه علمه ، ولم

يقنع بالتسليم فهمه ، حجه مرامه عن خالص التوحيد ، وصافي المعرفة ، وصحيح

الإيمان » [8] .
وقال البرهاري : « إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ، أو يرد الآثار ،

أو يريد غير الآثار : فاتهمه على الإسلام ، ولاتشك أنه صاحب هوى مبتدع » [9]

وقال ابن تيمية : « وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم يعني أهل السنة

اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين

لهم بإحسان : أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن برأيه ولا ذوقه ، ولا معقوله

ولا قياسه ، ولا وجده ، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعية والآيات البينات : أن

الرسول جاء بالهدى ودين الحق ، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم » ^[10]

وقال أيضاً : « فمن بنى الكلام في العلم (الأصول والفروع) على الكتاب والسنة والآثار المأثورة عن السابقين ، فقد أصاب طريق النبوة ، وكذلك من بنى الإرادة والعبادة والعمل والسمع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية على الإيمان والسنة والهدى الذي كان عليه محمد وأصحابه فقد أصاب طريقة النبوة ، وهذه طريقة أئمة الهدى ... » ^[11] .

القاعدة الثانية : الاعتماد على السنة الصحيحة :

أمر الله (سبحانه وتعالى) بطاعة نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - في آيات

كثيرة ، منها قوله (تعالى) : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

[الحشر : 7] ، وقوله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : 80] .

وثبت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إني أوتيئ القرآن ومثله

معه » ^[12] ، فكل ما ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو حق وصدق

لاربي فيه ، قال الله (تعالى) : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم : 3 ، 4] .

وسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - هي الموضحة والمبينة لكتاب الله (عز

وجل) ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

[النحل : 44] .

وقد ذم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقواماً يتركون ما جاء في سنته ،

فقال : « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته ، فيقول :

بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه ، وإن ما حرّم رسول الله كما حرّم الله » ^[13] .

ومن بدائع مواقف الصحابة (رضي الله عنهم) : أن عمران بن حصين كان

جالساً ومعه أصحابه ، فقال رجلٌ من القوم : لاتحدثونا إلا بالقرآن ، فقال له : أدنه ، فدنا ، فقال : رأيت لو وُكِّلْتُ أنت وأصحابك إلى القرآن ،

أكنت تجد فيه صلاة

الظهر أربعاً ، وصلاة العصر أربعاً ، والمغرب ثلاثاً ، تقرأ في اثنتين ؟ ! رأيت لو

وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن ، أكنت تجد الطواف بالبيت سبعاً ،
والطواف

بالصفا والمروة ؟ ! ثم قال : أي قوم ، خذوا عنا ، فإنكم والله إلا تفعلوا
لتضِلُّنَّ » [14] .

ولهذا قال ابن تيمية : « البيان التام هو ما بينه الرسول ؛ فإنه أعلم
الخلق
بالحق ، وأنصح الخلق للخلق ، وأفصح الخلق في بيان الحق ، فما بينه من
أسماء

الله وصفاته وعلوه ورؤيته ، هو الغاية في هذا الباب » [15] .
وقال أيضاً : « الثواب على ما جاء به الرسول ، والتَّصرُّع لمن

نصره ،

والسعادة لمن اتبعه ، وصلوات الله وملائكته على المؤمنين به ،
والمعلمين للناس

دينه ، والحق يدور معه حيثما دار ، وأعلم الخلق بالحق وأتبعهم له :
أعلمهم بسنَّته

وأتبعهم له ، وكل قول خالف قوله فهو إما دين منسوخ ، وإما دين مبدل
لم يُشرع
قط » [16] .

وبسبب هذه المنزلة العظيمة لسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- اهتمَّ
بها أهل

السنة اهتماماً عظيماً ، علماً وعملاً ، وحرصوا على حفظها ونقلها ، وقاموا
بتحقيقها

وتنقيحها ، وتمييز صدقها من كذبها ، خاصة بعد ظهور الفتن وانتشار
المبتدعة

وفشو الكذب . ولهذا قال عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) : « إنا كنا
مرة إذا

سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ابتدرته
أبصارنا

وأصغينا إليه بأذاننا ، فلمَّا ركب الناس الصعب والذلول ؛ لم نأخذ من
الناس إلا ما

نعرف » [17] .

وقال التابعي الجليل محمد بن سيرين : « لم يكونوا يسألون عن
الإسناد ، فلما

وقعت الفتنة قالوا : سمَّوا لنا رجالكم ، فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ
حديثهم ، وينظر

إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » [18] .

وقال الإمام مالك بن أنس : « إن هذا العلم هو لحمك ودمك وعنه
تسأل يوم

القيامة ، فانظر عمَّن تأخذه » [19] .

ويشرح ابن تيمية الداعي لتنقيح السنة النبوية فيقول : « وبيننا
وبين

الرسولمئون من السنين ، ونحن نعلم بالضرورة أنّ فيما ينقل الناس عنه وعن غيره صدقاً وكذباً ، وقد روي عنه أنّه قال : « سيُكذب عليّ » ، فإن كان هذا الحديث صدقاً ، فلا بد أن يكذب عليه ، وإن كان كذباً فقد كذب ، وإن كان كذلك لم يجر لأحد أن يحتج في مسألة فرعية بحديث حتى يُبين ما به يثبت » [20] .
وقد رسم أئمة الحديث منهجاً علمياً متميزاً في ضبط أصول الرواية وتقييد

قواعدها ، فحفظوها بفضل الله تعالى من العبث والتزييف ، فهم المرجع الذي يُرجع إليه في معرفة الصحيح من الضعيف ، قال ابن تيمية : « المنقولات فيها كثير من الصدق وكثير من الكذب ، والمرجع في التمييز بين هذا وهذا إلى أهل علم الحديث ، كما نرجع إلى النحاة في الفرق بين نحو العرب ونحو غير العرب ، ونرجع إلى علماء اللغة فيما هو من اللغة وما ليس من اللغة ، وكذلك علماء الشعر والطب وغير ذلك ، فلكل علم رجالٌ يعرفون به ، والعلماء بالحديث أجلّ هؤلاء قدراً ، وأعظمهم صدقاً ، وأعلاهم منزلة ، وأكثرهم ديناً ، وهم من أعظم الناس صدقاً و أمانة وعلماً وخبرة فيما يذكرونه من الجرح والتعديل ، مثل : مالك وشعبة وسفيان ... » [21]

من أجل ذلك كله : يتبين أن الاستدلال العلمي الصحيح يعتمد على الأحاديث الصحيحة والحسنة ، وأمّا الأحاديث الموضوعة والضعيفة فلا يجوز الاستدلال بها ، ويجب الحذر منها . ولهذا قال ابن تيمية : « فالواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب ، فإن السنة هي الحق دون الباطل ، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة ، فهذا أصل عظيم لأهل الإسلام عموماً ولمن يدعي السنة خصوصاً » [22] .

وقال أيضاً : « الاستدلال بما لا تُعلم صحته لا يجوز بالاتفاق ، فإنه قول بلا علم ، وهو حرام بالكتاب والسنة والإجماع » [23] .
وقال أيضاً : « ولا يجوز أن يعتمد في الشريعة على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة » [24] .

القاعدة الثالثة : صحة فهم النصوص :

إن صحة فهم النصوص الشرعية ركيزة رئيسة لصحة الاستدلال ، ولا يستطيع المرء أن يعرف مراد الله (عز وجل) ، ومراد رسوله إلا حينما يستقيم فهمه لدلائل الكتاب والسنة . وكثير من البدع والضلالات إنما حدثت بسبب قلة العلم وسوء الفهم .

أصول مهمة يعتمد عليها :

ومن الأصول العلمية التي يجب الاعتماد عليها في فهم النصوص الشرعية ودراستها :

أولاً : الاعتماد على منهج الصحابة (رضي الله عنهم) :
للصحابة (رضي الله عنهم) منزلة جلية ، فقد شرفهم الله (تعالى) ، وأعلى منزلتهم ، ورفع أقدارهم ودرجاتهم ، وعدلهم من فوق سبع سموات ، فقال (تعالى) :

﴿ وَالسَّائِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة : 100] . وقال (تعالى) : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : 29] .

قال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : « من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم- ، فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً ، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » [25] .

وقال أبو محمد بن حزم : « فمن أخبرنا الله (عز وجل) « أنه علم ما في قلوبهم ، ورضي عنهم ، وأنزل السكينة عليهم ، فلا يحل لأحد التوقف عن أمرهم أو الشك فيهم البتة » [26] .

من أجل هذا ؛ فإن فهم دلائل الكتاب والسنة إنما يؤخذ من الصحابة (رضي الله عنهم) ففيهم تكلم الرسول- صلى الله عليه وسلم- ، وعليهم نزل الكتاب ، فهم أعلم الناس بمراد الله (تعالى) ومراد رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، خاصة بعد أن كثرت البدع ، وقل العلم ، وفسدت الفهوم ، ، وهجرت السنّة ، وقد صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، قوله : « فإنه من يعيش منكم فسيروا خلفه ، واختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة » [27] .

قال ابن تيمية : « يحتاج المسلمون في العقيدة إلى شيئين : أحدهما : معرفة ما أراد الله ورسوله بألفاظ الكتاب والسنة ، بأن يعرفوا لغة القرآن التي نزل بها ، وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ ؛ فإنّ الرسول لمّا خاطبهم بالكتاب والسنة عرّفهم ما أراد بتلك الألفاظ ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه ، وقد بلغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم ممّا بلغوا حروفه .. » [28] .

وقال الشاطبي : « .. ولهذا فإن السلف الصالح (من الصحابة والتابعين ومن يليهم » كانوا أعرف بالقرآن وعلومه وما أودع فيه .. » [29] .

وقال ابن أبي العز الحنفي : « وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة ، وإنما يتلقاه من قول فلان ؟ ! وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث الرسول ، ولا ينظر فيها ، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان المنقول إلينا عن الثقات النقلة ، الذين تخيرهم النقاد ، فإنهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده ، بل نقلوا نظمه ومعناه ، ولا كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان ، بل يتعلمونه بمعانيه ، ومن لا يسلك سبيلهم فإنما يتكلم برأيه ، ومن يتكلم برأيه وما يظنه دين الله ولم يتلق ذلك من الكتاب فهو مأثوم وإن أصاب » [30] .

ثانياً : معرفة اللغة العربية :

لكي تفهم دلائل الكتاب والسنة على الوجه الصحيح لابد من معرفة لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم ، والتي خاطب بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه . ولهذا تواتر اعتناء علماء الأمة وأئمتها بلغة القرآن حتى يوضع خطاب الشارع في موضعه اللائق به شرعاً .

قال الإمام الشافعي : « .. وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره ، لأنه لا يعلم من إيضاح جمع علم الكتاب أحدٌ جهل سعة لسان العرب ، وكثرة وجوهه ، وجماع معانيه وتفرقها . ومن علمه انتفت عنه الشبهة التي دخلت على من جهل لسانها » [31] .

وقال ابن عبد البر : « ومما يستعان به على فهم الحديث ما ذكرناه من العون على كتاب الله (عز وجل) : وهو العلم بلسان العرب ومواقع كلامها ، وسعة لغتها ، وأشعارها ، ومجازها ، وعموم لفظ مخاطبتها وخصوصه ، وسائر مذهبها لمن قدر ، فهو شيء لا يُستغنى عنه ، وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يكتب إلى الآفاق : أن يتعلموا السنّة والفرائض واللحن يعني النحو كما يتعلم القرآن » [32] .

وقال ابن تيمية : « ولابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ ، وكيف يفهم كلامه ، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها ممّا يُعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه ، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني ، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب ، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدّعون أنه دال عليه ، ولا يكون الأمر كذلك .. » [33] .

وقال الشاطبي : « المقصود هنا : أن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة ، فطلب فهمه إنما يكون في هذا الطريق خاصة ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف : 2] . وقال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : 195] .

وقال : **لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ** [النحل : 103] . إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي ولسان العرب ، لا أنه أعجمي ولا بلسان العجم ، فمن أراد فهمه ، فمن جهة لسان العرب يُفهم ، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة » [34] .

- (1) أخرجه : مسلم في الإيمان ، ج 1 ص 64 ، ح 37 .
- (2) أخرجه مسلم في الصيد والذباح ج 3 ص 1547 ، ح 1954 .
- (3) أخرجه : ابن بطة في الإبانة ، ج 1 ص 257 ، وأخرج نحوه عن أبي الدرداء وأبي سعيد الخدري ، وأفاد المحقق أن أسانيدھا جيد .
- (4) عقيدة السلف ص 117 .
- (5) السنة للخلال ج 3 ص 579 .
- (6) أخرجه : الترمذي في الأدب ج 5 ص 81 ، ح 2738 ، والحاكم في الأدب ج 4 ص 265 : 266 وإسناده جيد .
- (7) أخرجه : عبد الرزاق في الصلاة ج 3 ص 52 ح 4755 ، والبيهقي في السنن الكبرى ج 2 ص 466 وإسناده صحيح .
- (8) شرح العقيدة الطحاوية ص 219 : 221 .
- (9) شرح السنة للبرهاري ص 51 .
- (10) مجموع الفتاوى ج 13 ص 28 .
- (11) المرجع السابق ج 10 ص 363 .
- (12) أخرجه : أحمد ج 6 ص 8 وأبوداود ح 4604 ، والترمذي 2660 .
- (13) أخرجه : أبوداود ح 3605 ، والترمذي ح 2663 ، وابن ماجه ح 12 .
- (14) أخرجه : الخطيب البغدادي في الكفاية ص 15 .
- (15) منهاج السنة النبوية ج 3 ص 352 .
- (16) المرجع السابق ج 5 ص 233 .
- (17) أخرجه : مسلم في مقدمة صحيحه ج 1 ص 12 : 13 .
- (18) المرجع السابق ج 1 ص 15 .
- (19) المحدث الفاصل ص 416 ، والكفاية ص 21 .
- (20) منهاج السنة النبوية ج 7 ص 61 .
- (21) المرجع السابق ج 7 ص 34 : 35 .
- (22) مجموع الفتاوى ج 3 ص 380 .
- (23) منهاج السنة النبوية ج 7 ص 167 : 168 .
- (24) مجموع الفتاوى ج 1 ص 250 .
- (25) جامع بيان العلم وفضله ج 2 ص 947 ، ح 1810 .
- (26) الفضل في الملل والنحل ج 4 ص 148 .
- (27) أخرجه : أحمد ج 4 ص 126 : 127 ، وأبوداود ح 4607 ، والترمذي ح 2676 .
- (28) الفتاوى ج 17 ص 353 .
- (29) الموافقات ج 2 ص 79 .
- (30) شرح العقيدة الطحاوية ص 212 .
- (31) الرسالة ص 50 .
- (32) جامع بيان العلم وفضله ج 2 ص 1132 .
- (33) الفتاوى ج 7 ص 116 وانظر : ج 7 ص 118 : 119 و 138 و 169 و 286 .
- (34) الموافقات ج 2 ص 64 .

دراسات قرآنية

مصادر التفسير :

تفسير القرآن بالقرآن

(1)

بقلم : مساعد بن سليمان الطيار

يراد : بمصادر التفسير : المراجع الأولية التي يرجع إليها المفسر عند تفسيره
لكتاب الله ، وهذه المصادر هي : القرآن ، والسنة ، وأقوال الصحابة ،
وأقوال التابعين وتابعيهم ، واللغة ، والرأي والاجتهاد . وإنما قيل : « المراجع الأولية » ؛

لئلا تدخل كتب التفسير ؛ لأنها تعتبر مصادر ، ولكن الحديث هنا ليس عنها .

وقد اصطلح شيخ الإسلام ابن تيمية (ت : 728هـ) على تسميتها بـ (طرق التفسير) ، ذكر منها أربعة ، وهي : القرآن ، والسنة ، وأقوال الصحابة ، وأقوال التابعين في التفسير^[1] .

وجعلها بدر الدين الزركشي (ت : 794هـ) مأخذ التفسير ، وذكر أمهاتها ، وهي أربع : النقل عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ثم الأخذ بقول الصحابة ، ثم الأخذ بمطلق اللغة ، ثم التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع^[2] . وسيكون الحديث عن هذه المصادر متتابعاً إن شاء الله تعالى .

تفسير القرآن بالقرآن :

يعتبر القرآن أول مصدر لبيان تفسيره ؛ لأن المتكلم به هو أولى من يوضح مراده بكلامه ؛ فإذا تبين مراده به منه ، فإنه لا يُعدل عنه إلى غيره . ولذا عدّه بعض العلماء أول طريق من طرق تفسير القرآن^[3] ، وقال آخر :
إنه من أبلغ التفاسير^[4] ، وإنما يُرجع إلى القرآن لبيان القرآن ؛ لأنه قد يردّ إجمال في آية تبينه آية أخرى ، وإبهام في آية توضّحه آية أخرى ، وهكذا .

وسأطرح في هذا الموضوع قضيتين :

الأولى : بيان المصطلح .

الثانية : طريقة الوصول إلى تفسير القرآن بالقرآن .

بيان المصطلح :

التفسير : كشفٌ وبيانٌ لأمر يحتاج إلى الإيضاح ، والمفسّر حينما يُجْري

عملية التفسير ، فإنه يبيّن المعنى المراد ويوضّحه .
فتفسير المفسر لمعنى « عُطِلَتْ » في قوله (تعالى) : ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾

[التكوير : 4] بأنها : أهملت ، هو بيان وتوضيح لمعنى هذه اللفظة القرآنية .

وفي هذا المثال يُقال : تفسير القرآن بقول فلان ؛ لأنه هو الذي قام ببيان معنى اللفظة في الآية .

ومن هنا ، فهل كل ما قيل فيه : (تفسير القرآن بالقرآن) يعني أن البيان عن شيء في الآية وقع بآية أخرى فسّرتها ، أم أن هذا المصطلح أوسع من البيان ؟

ولكي يتضح المراد بهذا الاستفسار استعرض معي هذه الأمثلة :

المثال الأول : عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : لما نزلت ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : 82]

قلنا : يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أيّنا لم يظلم نفسه ؟ قال : ليس كما تقولون ، ﴿ لم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ : بشرك ، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : 13] » [51]

المثال الثاني : قال الشيخ الشنقيطي (ت : 1393هـ) : « ومن أنواع البيان

المذكورة أن يكون الله خلق شيئاً لحكمٍ متعددة ، فيذكر بعضها في موضع ، فإننا نبيّن البقية المذكورة في المواضع الأخر .

ومثاله : قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا ﴾ [الأنعام : 97] .

فإن من حكمِ خلق النجوم تزيين السماء الدنيا ، ورحم الشياطين أيضاً ، كما

بيّنه (تعالى) بقوله : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك : 5] وقوله : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظاً مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات : 6 ، 7] [61] .

المثال الثالث : قال الشيخ محمد حسين الذهبي : « ومن تفسير القرآن بالقرآن : الجمع بين ما يُتوهم أنه مختلف ؛ كخلق آدم من تراب في بعض ، ومن طين في غيرها ، ومن حمًا مسنون ، ومن صلصالٍ ، فإن هذا ذِكْرٌ للأطوار التي مرَّ بها آدم من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه » [7] .

نقد الأمثلة :

إذا فحصت هذه الأمثلة فإنه سيظهر لك من خلال الفحص ما يلي :
ستجد أن المثال الأول وقع فيه البيان عن المراد بالظلم بآية أخرى ، أي : إن القرآن وضَّح القرآن .

لكنك هل تجد في المثاليين الآخرين وقوع بيان عن آية بآية أخرى ؟
ففي المثال الثاني : تجد أن المفسِّر جمع عدة آيات يربطها موضوع واحد ،

وهو حكمة خلق النجوم ، فهل وقع بيان لآية بآية أخرى في هذا الجمع ؟
لاشك أنه لم يقع هذا البيان ، لأن الآية الأولى التي جمع المفسر معها ما

يوافقها في الموضوع لم يكن فيها ما يحتاج إلى بيان قرآني آخر .
وفي المثال الثالث : تجد أن المفسِّر جمع بين عدَّة آيات تُوهم بالاختلاف ،
لكن هل وقع في جمع هذه الآيات تفسير بعضها ببعض ؟ أم أن تفسيرها جاء من مصدر آخر خارج عن الآيات ؟
الذي يبدو أن جمع هذه الآيات أثار الإشكال ؛ إذ التراب لا يُفسَّر بالطين ، ولا

بالحمًا المسنون ... إلخ ، كما أن كل واحدٍ من الآخرين لا يُفسَّر بالآخر ؛ لأنه

مختلف عنه . ولما كان الخبر عن خلق آدم والإخبار عنه مختلف احتاج المفسر إلى الربط بين الآيات ومحاولة حلِّ الإشكال الوارد فيها ، ولكن الحلَّ لم يكن بآية أخرى
تزيل هذا الإشكال ، بل كان حلُّه بالنظر العقلي المعتمد على دلالة هذه المتغيرات
وترتيبها في الوجود ، مما جعل المفسر لهذه الآيات ينتهي إلى أنها مراحل خلق آدم
عليه السلام ، وأن كل آية تتحدث عن مرحلة من هذه المراحل ، حيث كان آدم تراباً ، ثم طيناً ، ثم ... إلخ .

وبهذا يظهر جلياً أنّ جمع الآيات لم يكن فيه بيان آية بآية أخرى ، وإن كان
في هذا الجمع إفادة في التفسير .
وبعد .. فإن النتيجة التي تظهر من هذه الأمثلة : أن كل ما قيل فيه
: إنه
تفسير قرآن بقرآن ، إذا لم يتحقق فيه معنى البيان عن شيء في الآية بآية
أخرى ،
فإنه ليس تعبيراً مطابقاً لهذا المصطلح ، بل هو من التوسع الذي يكون في
تطبيقات
المصطلح .

تفسير القرآن بالقرآن عند المفسرين :

ظهر مما سبق أن مصطلح (تفسير القرآن بالقرآن) قد استُعمل
بتوسع في
تطبيقاته ، ويبرز هذا من استقراء تفاسير المفسرين ، خاصة من نصّ
على هذا
المصطلح أو إشار إليه في تفسيره ؛ كابن كثير (ت : 774هـ) ، والأمير
الصنعاني
(ت : 1182هـ) ، والشنقيطي (ت : 1393هـ) .
ويبدو أن كل استفادة من آيات القرآن ؛ كالاستشهاد أو الاستدلال
بها يكون

داخلاً ضمن تفسير القرآن بالقرآن .
ومن أمثلة ذلك ما ذكره الصنعاني في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ
بَاخِعٌ نَفْسِكَ
أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : 3] حيث قال : « أي قاتلها لعدم إيمان
قومك .

« تكرر هذا المعنى في القرآن في مواضع : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ
﴾
[الحجر : 88] وفي الكهف : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ
يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف : 6] . وفي فاطر : ﴿ فَلَا تَذْهَبْ
نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ [فاطر : 8] .
ونحوه : ﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾ [النحل :
37] .

ونحو ذلك مما هو دليل على شفقتة على الأمة ، ومحبته لإسلامهم ،
وشدة حرصه
على هدايتهم مع تصريح الله له بأنه ليس عليه إلا البلاغ » [8] .
ويمكن القول : إنه ليس هناك ضابط يضبط المصطلح المتوسع بحيث

يمكن
أن يقال : هذا يدخل في تفسير القرآن بالقرآن ، وهذا لا يدخل فيه ؛
ولذا يمكن
اعتبار كتب (متشابه القرآن) [9] ، وكتب (الوجوه والنظائر) من كتب تفسير
القرآن
بالقرآن بسبب التوسع في المصطلح .

فكتب (متشابه القرآن) توازن بين آيتين متشابهتين أو أكثر ، وقد يقع الخلاف بينهما في حرف أو كلمة ، فيبين المفسر سبب ذلك الاختلاف .
وكتب (الوجوه والنظائر) تبين معنى اللفظ في عدة آيات ، وتذكر وجه الفرق فيها في كل موضع .

* المفسرون المعتنون بهذا المصدر :

إن مراجعة روايات التفسير المروية عن السلف تدل على أن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت : 182هـ) كان من أكثر السلف اعتناءً بتفسير القرآن بالقرآن .
ومن أمثلة ذلك ما رواه عنه الطبري (ت : 310هـ) بسنده في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ [الطور : 6] قال : « الموقد ، وقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْيَخَافُ سُجَّرَتْ ﴾ [التكوير : 6] قال : أُوقِدَتْ » [10] .
أما كتب التفسير ، فإن من أبرز من اعتنى به ثلاثة من المفسرين هم :

- (1) الحافظ ابن كثير (ت : 774هـ) في كتابه (تفسير القرآن العظيم) .
- (2) الأمير الصنعاني (ت : 1182هـ) في كتابه : (مفتاح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن) .
- (3) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت 1393هـ) في كتابه : (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) [11] .

* بيان بعض الأمثلة التي تدخل في المصطلحين :

سبق البيان عن مصطلح (تفسير القرآن بالقرآن) ، وأنه ينقسم إلى نوعين :
الأول : ما يعتمد على البيان ، والمراد أن وقوع البيان عن آية بآية أخرى يُعَدُّ تعبيراً دقيقاً عن هذا المصطلح .
الثاني : ما لم يكن فيه بيان عن آية بآية أخرى ، وهو بهذا مصطلح مفتوح ، يشمل أمثلة كثيرة .

وقد مضى أن هذا التوسع هو الموجود في كتب التفسير ، وأنها قد سارت عليه ، وفي هذه الفقرة سأطرح محاولة اجتهادية لفرز بعض أمثلة هذا المصطلح .

أولاً : الأمثلة التي يَصْدُقُ إدخالها في المصطلح المطابق :

يمكن أن يدخل في هذا المصطلح ما يلي :
1- الآية المخصصة لآية عامة :

ورد لفظ الظلم عاماً في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا

إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : 82] . وقد خصّه الرسول صلى الله عليه

وسلم بالشرك ، واستدل له بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : 13] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا ﴾ [الإسراء : 24] . عموم يشمل كل

أب : مسلم وكافر ، وهو مخصوص بقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ

يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى ﴾ [التوبة : 113] . فخرج بهذا الاستغفار

للأبوين الكافرين ، وظهر أن المراد بها الأبوان المؤمنان [12] .

2- الآية المبينة لآية مجملة :

أجمل الله القدر الذي ينبغي إنفاقه في قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾

[البقرة : 3] ، وبين في مواضع آخر : أن القدر الذي ينبغي إنفاقه هو الزائد عن

الحاجة وسدّ حاجة الخلّة التي لا بد منها ، وذلك كقوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ

الْعَفْوُ ﴾ [البقرة : 219] والمراد بالعفو : الزائد على قدر الحاجة التي لا بدّ منها ،

على أصحّ التفسيرات ، وهو مذهب الجمهور ... [13] .

وفي قوله تعالى : ﴿ أَجَلْتُ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : 1] ، إجمال في المتلو ، وقد بيّنه قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ

عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلَ لِعَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ

السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُيْحٌ عَلَى النُّصْبِ ﴾ [المائدة : 3] .

3- الآية المقيدة لآية مطلقة :

أطلق الله استغفار الملائكة لمن في الأرض ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الشورى : 5] ، وقد قيّد هذا الإطلاق بالمؤمنين في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ

الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾

[غافر : 7] .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ اِزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ نُّقَبِّلَ

تُوبَتَهُمْ ﴾ [آل عمران : 90] ، إطلاق في عدم قبول التوبة ، وهو مقيد في قول

بعض العلماء بأنه إذا أُخِّروا التوبة إلى حضور الموت ، ودليل التقييد قوله تعالى :

﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَصَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ﴾
الآن ولا الذين يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴿ [النساء : 14] .

4- تفسير لفظة غريبة في آية بلفظة أشهر منها في آية أخرى :

ورد لفظ « سَجَّيل » في قوله تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سَجَّيلٍ ﴾

مَنْصُورٍ ﴿ [هود : 82] ، والممطر عليهم هم قوم لوط (عليه الصلاة والسلام) ، وقد

وردت القصة في الذاريات وبأن أن المراد بالسجيل : الطين ، في قوله تعالى :

﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ ﴾

[الذاريات : 32 ، 33] [15] .

5- تفسير معنى آية بآية أخرى :

التسوية في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾ [النساء : 42] ، يراد بها : أن يكونوا كالتراب ، والمعنى :

يُودُّون لو جُعِلُوا والأرض سواءً ، ويوضح هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا

لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ [النبا : 40] [16] .

ثانياً : أمثلة للمصطلح المتوسع :

يمكن أن يدخل في هذا النوع كل آية قرنت بأخرى على سبيل التفسير ، وإن

لم يكن في الآية ما يشكل فُتْبِيئُهُ الآية الأخرى ، ومن أمثلته ما يلي :

1- الجمع بين ما يُتَوَهَّم أنه مختلف :

سبق مثال في ذلك ، وهو : مراحل خلق آدم [17] ، ومن أمثلته عصا

موسى

(عليه الصلاة والسلام) ؛ حيث وصفها مرة بأنها ﴿ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [طه : 20] ،

ومرة

بأنها ﴿ تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ [النمل : 10] ، ومرة بأنها ﴿ تُعْبَانُ مُبِينٌ ﴾

[الأعراف : 107] ، فاختلف الوصف والحدث واحد ، وقد جمع المفسرون

بين هذه الآيات : أن الله (سبحانه) جعل عصا موسى كالحية في سعيها ، وكالثعبان في

عظُمها ، وكالجان (وهو : صغار الحيات) في خِفَّتِهَا [18] .

2- تتميم أحداث القصة :

إذا تكرر عرض قصة ما في القرآن فإنها لا تتكرر بنفس أحداثها ، بل قد يزداد

فيها أو ينقص في الموضع الآخر ، وَيَعْمَدُ بعض المفسرين إلى ذكر أحداث القصة

متكاملة كما عرضها القرآن في المواضع المختلفة ، ومثال ذلك :
قوله (تعالى) : ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ ﴾ [طه : 40] ، حيث ورد في سورة القصص ثلاثة أمور غير واردة في هذه الآية ، وهي :

- 1- أنها مرسلّة من قبل أمها .
 - 2- أنها أبصرته من بُعدٍ وهم لا يشعرون .
 - 3- أن الله حرّم عليه المراضع .
- وذلك في قوله (تعالى) : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ قَبَضَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (11) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿ [القصص : 11 ، 12] [19] .

3- جمع الآيات المتشابهة في موضوعها :
قال الشنقيطي في قوله (تعالى) : ﴿ قَدْ تَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ [الأنعام : 33] .

قال : « صرح (تعالى) في هذه الآية الكريمة بأنه يعلم أن رسوله يحزنه ما يقوله الكفار في تكذيبه ، وقد نهاه عن هذا الحزن المفرط في مواضع أخرى كقوله :
﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ [فاطر : 8] ، وقوله : ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : 68] ، وقوله : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف : 6] ، وقوله : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : 3] .
والباخع : المهلك نفسه ... إلخ [20] .

4- جمع موارد اللفظة القرآنية :
قد يورد المفسّر « وصفاً » وُصف به شيء ، ثم يذكر الأشياء الأخرى التي وصفت به ، أو يعتمد إلى لفظة فيذكر أماكن ورودها ، ومن أمثلة الأول :

* قال : الأمير الصنعاني « والبقعة مباركة (لما) [21] وصفها الله لما أفاض (تعالى) (فيه) [22] من بركة الوحي وكلام الكليم فيها .
كما وصف أرض الشام بالبركة ، حيث قال : ﴿ وَتَجَيَّنَاهُ ﴾ أي :

إبراهيم
﴿ وَلَوْ طَأَّ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : 71]
ووصف بيته العتيق بالبركة في قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ

مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ [ال عمران : 96] .
ووصف شجرة الزيت بالبركة في قوله : ﴿ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ

[النور : 35] [23] .
* ومن أمثلة الثاني قوله : « وسمي الله كتابه هدى في آيات : ﴿ ذَلِكَ

الْكِتَابُ
لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿البقرة : 2﴾ ، ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ
أَفْوَمُ ﴿

[الإسراء : 9] ، ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءُ ﴿ [فصلت : 44] ، وفي
لقمان : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿ [لقمان : 3] ، وفي النحل : ﴿ تَبَيَّنَا
لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿ [النحل : 89] ، فهو هدى وبشرى للمسلمين
والمحسين ، وفي يونس : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿ [يونس : 57] [24] .

طريقة الوصول إلى تفسير القرآن بالقرآن :

التفسير إما أن يكون طريقه النقل ، وإما أن يكون طريقه الاستدلال ،
والأول : يطلق عليه (التفسير المأثور) ، والثاني : يطلق عليه
(التفسير بالرأي) .

ومن هنا فإن تصنيف (تفسير القرآن بالقرآن) ، في أحدهما يكون
بالنظر إلى
القائل به أولاً ، لا إلى طريقة وصوله إلى ما بعد القائل ؛ لأن ذلك طريقه
الأثر .

وتفسير القرآن بالقرآن ينسب إلى الذي فسّر به ، فالمفسّر هو
الذي عَمَدَ
اجتهاداً منه إلى الربط بين آية وآية ، وجعل إحداها تفسر
الآخرى .

وبهذا فإن طريق الوصول إليه هو الرأي والاستنباط ، وعليه فإنه لا
يلزم

قبول كل قول يرى أن هذه الآية تفسر هذه الآية ؛ لأن هذا الاجتهاد قد
يكون غير
صواب .

كما أنه إذا ورد تفسير القرآن بالقرآن عن مفسر مشهور معتمد عليه
فإنه يدلّ
على علو ذلك الاجتهاد ؛ لأنه من ذلك المفسر .

فورود التفسير به عن عمر بن الخطاب أقوى من وروده عن من
بعده من

التابعين وغيرهم ، وهكذا .

حُجَّةُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ :

كلما كان تفسير القرآن بالقرآن صحيحاً ، فإنه يكون أبلغ التفاسير ،
ولذا : فإن

وُروِد تفسیر القرآن بالقرآن عن النبی -صلی اللہ علیہ وسلم- أبلغ من وروده عن غيره ؛ لأن ما صح مما ورد عن النبی -صلی اللہ علیہ وسلم- مَحَلُّهُ القبول .

بيد أن قبوله لم يكن لأنه تفسير قرآن بقرآن ، بل لأن المفسر به هو النبي - صلی اللہ علیہ وسلم- .

ومن أمثلة تفسيره القرآن بالقرآن ما رواه ابن مسعود : أن رسول الله -صلی اللہ علیہ وسلم- قال : « مفاتيح الغيب ^[25] خمسٌ ، **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** [لقمان : 34] ^[26] .

أما ورود تفسير القرآن بالقرآن عن غير الرسول فإنه قد قيل باجتهاد المفسر ، والاجتهاد معرض للخطأ .

وهذا لا يمكن القول بحجية تفسير القرآن بالقرآن مطلقاً ، بحيث يجب قبوله ممن هو دون النبي -صلی اللہ علیہ وسلم- ، بل هو مقيد بأن يكون ضمن الأنواع التي يجب الأخذ بها في التفسير ^[27] .

هذا .. وقد سبق البيان أن تفسير القرآن بالقرآن يكون أبلغ التفاسير إذا كان المفسر به من كبار المفسرين من الصحابة ومن بعدهم من التابعين .

وأخيراً :

فإن كون تفسير القرآن بالقرآن من التفسير بالرأي ، لا يعني صعوبة الوصول إليه في كل حالٍ ، بل قد يوجد من الآيات ما تفسر غيرها ولا يكاد يختلف في تفسيرها اثنان ، مثل تفسير « الطارق » في قوله (تعالى) : **وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ** [الطارق : 1] بأنه يُفسر بقوله (تعالى) : **النَّجْمُ النَّاقِبُ** [الطارق : 3] ، ومثل هذا كثير في القرآن ، والله أعلم .

- (1) مقدمة في أصول التفسير ، (ت : د عدنان زررور) ، ص 93 وما بعدها .
- (2) انظر : البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 156-164 .
- (3) شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمته في (أصول التفسير) ، (ت : عدنان زررور) ، ص 93 .
- (4) ابن القيم في (البيان في أقسام القرآن) ، (ت : طه شاهين) ، ص 116 .
- (5) رواه الإمام البخاري ، انظر : فتح الباري (ط : الريان) ، ج 6 ، ص 448 ، ح 3360 .

- (6) أضواء البيان ، ج 1 ، ص 87 .
- (7) التفسير والمفسرون ، ج 1 ، ص 42 .
- (8) مفاتيح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن ، للأمير الصنعاني ، تحقيق عبد الله بن سوفان الزهراني (رسالة ماجستير ، على الآلة الكاتبة) ص 71 ، 72 ، وانظر : الأمثلة التي سبق نقلها عن الشنقيطي ومحمد حسين الذهبي .
- (9) تنقسم الكتابة في متشابه القرآن إلى قسمين : الأول : ما يتعلق بالمواضع التي يقع فيها الخطأ في الحفظ لتشابهها ، وهذه الكتب تخص القراء الثاني : ما يتعلق بالخلاف في التفسير بين الآيات المتشابهة ، وهذا المقصود هنا ، ككتاب (البرهان في متشابه القرآن) للكرماني وغيره .
- (10) تفسير الطبري ، ج 27 ، ص 19 ، وانظر له في الجزء نفسه ص 22 ، 37 ، 38 ، 61 ، 69 ، 74 ، 76 ، 92 ، 113 ، 120 ، وفي الجزء نفسه عن علي ص 18 ، وابن عباس ، ص 55 ، 72 ، وعكرمة ، ص 72 .
- (11) يمكن أن يستنبط من هذا الموضوع دراسات علمية مقترحة ، وهي كالتالي : 1- جمع مرويات السلف في (تفسير القرآن بالقرآن) ودراستها ؛ لإبراز طرق استفادة السلف من القرآن ومنهجهم في ذلك 2- دراسة منهج تفسير القرآن بالقرآن عند ابن كثير والصنعاني والشنقيطي ، وطرق إفادتهم من القرآن في التفسير ، مع بيان الفرق بينهم في هذا الموضوع .
- (12) انظر : تفسير الطبري ، ج 15 ، ص 6768 ، والتحرير والتنوير ، ج 15 ، ص 72 .
- (13) انظر : أضواء البيان ، ج 1 ، ص 107 ، 108 أضواء البيان ج 1 ص 343 .
- (14) انظر : أضواء البيان ، ج 1 ، ص 343 .
- (15) انظر : أضواء البيان ، ج 1 ، ص 86 .
- (16) انظر : تفسير الطبري ، ج 5 ، ص 93 ، والحجة للقراءات السبعة لأبي علي الفارسي ، ج 1 ، ص 246 .
- (17) انظر : ص 4 من المجلة نفسها .
- (18) انظر : أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل ، للرازي ص 327 ، وكشف المعاني في المتشابه من المثاني ، ص 282 ، 283 ، وتيجان البيان في مشكلات القرآن ، للخطيب العمري ، ص 173 .
- (19) انظر : أضواء البيان ، ج 4 ، ص 408 .
- (20) أضواء البيان ، ج 2 ، ص 189 ، وانظر : مفاتيح الرضوان للأمير الصنعاني ، ص 71 ، 72 .
- (21) كذا في الأصل وانظر : حاشية 2 ، ص 194 من التحقيق ، حيث قال المحقق : والصواب (كما) .
- (22) الصواب (فيها) انظر : حاشية 7 ، ص 194 ، من التحقيق .
- (23) مفاتيح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن ، ص 194 .
- (24) المصدر السابق ، ص 188 ، 189 .
- (25) وردت في قوله (تعالى) : [وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ] [الأنعام : 59] .
- (26) رواه البخاري ، انظر : فتح الباري ، ج 8 ، ص 141 .
- (27) سبق أن طرحتها في مجلة البيان ، ع 76 ، ص 15 .

دراسات تربوية تأملات في معاني كلمات الأذان

بقلم : د . محمد عز الدين توفيق

ليس : المقصود من هذا المقال تفصيل أحكام الأذان وبيان شروطه
وسننه وأدابه ، فذلك مذكور في مواضعه من كتب الحديث والفقه ، ولكنه
نظرات في
كلماته الجامعة ، وتأملات في معانيه الكبيرة ، بقصد الوقوف على
الحقائق الدينية
التي تقررها تلك الكلمات ، وتسعى إلى ترسيخها في نفوس المسلمين
، بل في
نفوس الناس كافة .
مَنْ منا لم يسمع الأذان ؟ ومن منا لم تطرق كلماته المتميزة أذنيه ؟
إن كلمات
الأذان بحمد الله (تعالى) تتردد في كل بلد مسلم ، وترتفع كل يوم خمس
مرات من
آلاف المآذن والمساجد المنتشرة في المدن والقرى ، بحيث يمكن القول
: إن عدد
المرات التي يسمع فيها المسلم الأذان في حياته يفوق أي كلمات أخرى
تتكرر على
سمعه .
الأذان هو ذلك النداء الذي يعرفه كل مسلم ، ويحفظ كلماته منذ
طفولته وصباه ، فهو شعار من شعائر الدين المشهورة ، لكن هذه
الشهرة التي يتمتع بها الأذان بين
المسلمين لا تعني بالضرورة أن المعاني والحقائق التي ينادي بها معروفة
لكل الناس ، فشهرة الكلمات تقابلها غربة المعاني والمضامين .
إن معظم المسلمين يعرفون الأذان بوصفه أداة تجمعهم على
الصلوات في
المساجد ، وقد يعرف بعضهم المعنى اللغوي لكلماته وألفاظه ، ولكنهم
يتفاوتون في
معرفة المعاني الشرعية التي تحملها تلك الكلمات ؛ مما يجعل لهذا
الموضوع أهمية
كبيرة ، لأنه يحاول إحياء هذه المعاني والإشارة إلى هذه الحقائق حتى
إذا سمع
المسلم الأذان حضرت في قلبه وذكرها في نفسه ، وهي حقائق لا يجوز
أن تغيب
عنه ، فيتولى الأذان تذكيره بها بصفة مستمرة .
وقد شرع الأذان في السنة الأولى بعد الهجرة ، بينما فرضت الصلاة
قبلها بعدة

شهور في ليلة الإسراء والمعراج ، ويبدو أن تشريع الأذان تأخر إلى ما بعد الهجرة ؛ لأنه لم يكن للمسلمين بمكة مسجد يجتمعون للصلاة فيه ، فلما هاجروا إلى المدينة وبنوا المسجد احتاجوا إلى أداة تجمعهم في وقت واحد لإقامة الصلوات المكتوبة في جماعة .

وكانت الأدوات التي يُدعى الناس بها إلى الصلوات والطقوس الدينية هي :

النفخ في البوق كما عند اليهود ، والضرب على الناقوس كما عند النصارى ، وإشعال النار كما عند المجوس ، فأبدل الله هذه الأمة بذلك كله : كلمات الأذان ، والملاحظ أن الفرق بين هذه الطرق الثلاث وبين رفع الأذان هو أن هذا الأخير

كلماته مركبة في جمل لها معنى يرددها إنسان ويرفع بها صوته ؛ فيفهمها من له معرفة باللغة العربية أو من تُرجمت له معانيها ونقلت إليه باللغة التي يتكلمها ، بينما

النفخ في البوق أو الضرب على الناقوس لا ينشئ كلاماً له معنى ، وإنما يحدث أصواتاً صماء غاية ما تدل عليه هو الهدف الديني الذي وضعت له ، لكنها لا تحمل إلى السامع معاني أخرى عبر الصوت الذي يصل إلى مسامعه ، وهذا الذي ذكرناه

عن النفخ في البوق والضرب على الجرس ينطبق على إشعال النيران أيضاً . فلا يمكن أن يكون العدول عن هذه الطرق الثلاث إلى كلمات الأذان لمجرد

مخالفة المشركين وأهل الكتاب ، ومع أن القصد إلى مخالفتهم واضح في تشريع الأذان ؛ لأنه شعار من شعائر الدين ، لكن القصد إلى المخالفة والتميز لا يمنع من

إثبات قصد آخر ، هو : تركيز معاني الإسلام وحقائقه الكبرى في كلمات هذا الأذان ليؤدي مهمة مزدوجة ، ويجتمع للمسلمين في أداتهم ما لم يجتمع لمن قبلهم .

إننا نلاحظ لدعم هذا المعنى الأمور الآتية :
أولاً : الأذان كلمات مختارة ومرتبعة بعناية ، وهذا الاختيار والترتيب مقصود

لأمر يتجاوز مجرد الإعلام بدخول وقت الصلاة .
ثانياً : السنة في الأذان أن يجهر به المؤذن ، ويمد الصوت بألفاظه حتى يصل

إلى أطول مسافة وأكبر عدد من الناس .
ثالثاً : تكراره مع دخول وقت كل صلاة وعددها في اليوم خمس ،

فيتكرر
خمس مرات في كل يوم صباحاً وظهراً وعصراً ومغرباً وعشاءً .
رابعاً : النهي عن خلط أي كلمات أخرى به سواء في أوله أو في

آخره حتى
تتميز كلماته عن غيرها من الكلام الذي قد يزيده الناس ، وقد حفظت
كلمات الأذان
بالتواتر على مر العصور ، تبدأ بكلمة (الله أكبر) ، وتنتهي بـ (لا إله إلا
الله) .

خامساً : ليس كل من يسمع الأذان بالضرورة من المصلين ، بل ليس
كل من

يسمع الأذان مسلم ، فلا شك أن للأذان رسالة إلى هؤلاء .
سادساً : اختيار المؤذن الأندى صوتاً ، فإن النبي -صلى الله عليه

وسلم- قال
للصحابي الذي رأى في منامه من يعلمه الأذان : « قم فلقنه بلائاً فإنه
أندى صوتاً
منك » ^[1] . والصوت الندي هو : الصوت القوي الواضح الجميل الذي

تجتمع في
صاحبه الموهبة والدربة ، فلا يكون الصوت حسناً بالأذان إلا إذا كان النطق
به وفق

قواعد اللغة العربية ومخارج حروفها ، وهذا بالتأكيد من أجل أن يفهم
الناس عن
المؤذن ما يقول ، فإذا كان الصوت منفراً أثر في هذه الغاية
وأضعفها .

سابعاً : الترغيب في المؤذن الذي لا يأخذ على أذانه أجراً وتفضيله
على الذي
يأخذ ؛ ليمتزج إخلاص قلبه مع كلمات لسانه ، ولذلك أثره في نفس
السامع .

سبب مشروعية الأذان :

لقد كان سبب مشروعية الأذان رؤيا رآها الصحابي الجليل عبد الله بن
زيد بن

عبد ربه ، قال : « لما أمر رسول الله بالناقوس لِيَضْرِبَ به الناس في
الجمع

للصلاة وفي رواية : وهو كاره لموافقته للنصارى طاف بي وأنا نائم رجل
يحمل
ناقوساً في يده ، فقلت له : يا عبد الله أتبيع الناقوس ؟ قال : ما تصنع به
؟ قال :

فقلت ندعو به إلى الصلاة ؟ قال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟
قال : فقلت

بلى ، قال : تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا
إله إلا

الله ... [2] ، فلما أصبحت أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبرته بما رأيت ، فقال : إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به ، فإنه أندى صوتاً منك ، قال : فقمتم مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به ، قال : فسمع بذلك عمر وهو في بيته فخرج يجر رداءه يقول : والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى ، قال : فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : فله الحمد .
لم يكن الأذان إذن اقتراحاً من بعض الصحابة أو اتفاقاً بينهم ، وإنما كان رؤيا رأها أحدهم ، وقال عنها النبي -صلى الله عليه وسلم- : إنها رؤيا حق .

ما يقوله المسلم عقب الأذان عنوان فهمه معناه :

ومما يؤكد أيضاً أن الأذان يتجاوز في مقاصده مجرد الإعلام بدخول وقت الصلاة إلى ما يقوله المسلم عندما يسمعه ، فقد ندب الإسلام المسلم إذا سمع المؤذن أن يقول مثل ما يقول ووعدته على ذلك بالجنة [3] ، وهذا يقتضي أن يُقيل على الأذان فكلما سمع منه جملة ردها بلسانه ، فتتاح لقلبه فرصتان لتدبر معناها :
الأولى : عندما يسمعه ، والثانية : عندما يقولها ، ومعلوم أن الإسلام إذا أمر المسلم أن ينصت إلى كلام أو يردده فإنه يقصد استماع القلب لا استماع الأذن فحسب .
إن توقف اللسان عن الاستمرار في الكلام الذي كان يقوله وانصرافه إلى متابعة كلمات الأذان من غير أن يسابق المؤذن بها ، ومن غير أن يتأخر عنه ، دليل آخر يؤكد أن الأذان للإعلام بدخول الوقت ، وهو أيضاً تذكير بحقائق معينة لابد أن الناس مسلمهم وكافرهم بحاجة إلى التذكير بها .
فإذا فرغ المؤذن من أذانه يسن للسامع أن يقول بعد الصلاة على رسول الله :
« اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعته مقاماً محموداً الذي وعدته » .
عن عبد الله بن عمرو ، أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول :
« إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ ؛ فإنه من صلى علي صلاة

صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة » [31] .

وإذا تأملنا هذا الدعاء الذي يقال بعد الأذان ، نجد فيه « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة » فيكون الأذان تلخيصاً لدعوة الإسلام ، ثم إعلاماً بدخول وقت الصلاة .

فإذا أجاب المسلم المؤذن وحضر إلى الصلاة ، فقد صدّق بالحق وامتلئ للأمر فجمع شرطي الفلاح .

وإنما كان الأذان تلخيصاً لدعوة الإسلام ؛ لأنه متضمن للشهادتين ، والإسلام كله قام على أساسين عظيمين : أن يُعبد الله وحده ، وتلك شهادة « أن لا إله إلا الله » ، وأن يُعبد بما جاء به رسوله - صلى الله عليه وسلم - وتلك شهادة « أن محمداً رسول الله » ، فالإسلام بناء يقوم على أركان خمسة أولها الشهادتان .

وكما في الأذان : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، ففيه :
حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، والصلاة من أولها إلى آخرها تصديق عملي بالشهادتين ؛ ففيها يقول المسلم في الفاتحة « **إياك نعبد وإياك نستعين** » وتلك شهادة « أن لا إله إلا الله » ، وفيها يقول : « **اهدنا الصراط المستقيم** » ، وتلك شهادة « أن محمداً رسول الله » .

أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله :
لقد كان الإسلام في بدايته كلمة يقولها الرجل فيصير مسلماً أو يعرض عنها فيكون كافراً ، ولا يمكن لكلمة أن تكون فيصلاً بين الإسلام والكفر إلا إذا كان الإسلام نفسه مجموعاً في هذه الكلمة ، وما سينزل فيما بعد من أحكام تفصيلاً لما أجمل فيها .

لقد كانت البداية التي بدأت بها الدعوة إلى الإسلام وهي « قولوا لا إله إلا الله » دليلاً على ما لهاتين الشهادتين من معنى كبير وخطير ، يترتب على العلم به والعمل بمقتضاه فلاح الدنيا والآخرة .

والسؤال الذي يعد مدخلاً هنا هو : ماذا فهم العرب عندما خوطبوا بهذه الكلمة ودُعوا إليها ؟ وهل كان الرفض الذي واجهوا به هذه الكلمة لمجرد التلفظ بجملتين ، أم لما يترتب على ذلك النطق من التزامات علمية وعملية ؟ لقد كان المتلفظ بالشهادتين في عصر الرسالة يعرف أنه يجتاز عالماً بأكمله ويدخل إلى عالم جديد ، يجتاز عالم الجاهلية بمبادئه وأخلاقه وعاداته ويَعْبُر إلى عالم الإسلام . إن الرجل العربي أيام البعثة كان يفهم من مدلولات لغته ولذلك حضرت في ذهنه كل المعاني التي يستعمل لها لفظ (الإله) عندما قيل له : « قل لا إله إلا الله » وكان على بينة من أمره أيضاً . وإن أخطر ما يصاب به هذا الركن الاعتقادي هو : أن يبقى في الناس لفظه ويضيع معناه أو جزء منه ، فيتشوه الباقي وتختلف الأمة فيه ، وهذا ما حصل بالفعل عندما ابتعد المسلمون عن اللغة العربية وابتعدوا عن الكتاب والسنة ، فصاروا ينطقون الشهادتين ويرددونها في الأذان والإقامة والتشهد وغيرها ، وهم على جهل بمعناها الصحيح ؛ فيشهدون دون أن يتبينوا على أي شيء يشهدون ؟ إن الشهادتين ثلاثة أقسام : الأول : فعل « أشهد » ، الثاني « لا إله إلا الله » ، والثالث : « محمد رسول الله » .

أولاً : أشهد :

هذا الفعل يأتي في اللغة بمعان ثلاثة أولها : أرى وأشهد ، ومنه قوله (تعالى) : ﴿ يَشْهَدُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين : 21] . الثاني : الشهادة ، وهي القول بما تعلم ومنه قوله (تعالى) : ﴿ وَأَشْهَدُوا دَوِّيَّ عَذْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ [الطلاق : 2] . وثالثها : الحلف ، ومنه الحديث : « على مثل الشمس فاشهد أو ذر » [41] . فيكون معنى « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله » ، أنني شأهت بقلبي ، وشهدت بلساني ، وأيقنت يقين الحالف أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

ثانياً : لا إله إلا الله :

لقد كان العرب يعتقدون أن آلهتهم التي يشركونها مع الله (تعالى) أو من دونه
تحميهم وتنصرهم وتجبرهم وتقضي حاجاتهم ؛ ولذلك عبدوها دون أن ينكروا
وجود
الله (تعالى) ، أو ينكروا أنه الخالق والرازق ، فلم يكن نزاع النبي -صلى
الله عليه
وسلم- معهم حول وجود الله (تعالى) وربوبيته ، وإنما كان حول التسليم
بالوحدانية
والألوهية لله وحده .
إن المشركين العرب الذين خوطبوا بـ « لا إله إلا الله » كانوا
يعتقدون أن
آلهتهم المزعومة لها قداسة وبها استحققت العبادة ، فالقرآن الكريم
عَمَدَ إلى هذا
الاعتقاد الأصلي فأبطله ؛ ليبطل به كل شرك موجود أو متوقع ، فبين بياناً
حاسماً :
أنه لا سلطة لأحد في الكون مع الله (عز وجل) ، ووضع خطأً فاصلاً بين
الألوهية
والعبودية ، وأنزل كلاً منزلته .
إن « لا إله إلا الله » تعني أن كل ما كان يصف به العرب آلهتهم من
صفات
الألوهية لله وحده ، فهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله .
لقد قال القرآن الكريم لهؤلاء المشركين : إن مَنْ خلق الكون ويملك
السلطة فيه
هو الإله المستحق للعبادة ، فهذا الأمر غير قابل للتجزئة ، إذ لا يكون
الخلق في يد
إله ، والرزق في يد آخر ، والحكم في يد ثالث .
ثالثاً : محمد رسول الله :
هذا الشطر الثاني من الشهادتين يعني ثلاثة أمور : الأول ، أن محمداً
رسول
الله حقاً ، فهو من جهة ليس إلهاً ، وليست فيه أي صفة من صفات
الألوهية ، ومن
جهة ثانية : ليس كذاباً ولا ساحراً ولا كاهناً ولا مجنوناً ولا سامراً ، فالذي
يشترك فيه
مع الناس هو البشرية ، والذي يتميز به عنهم هو الوحي والنبوة ، كما قال
(سبحانه) : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [فصلت : 6] .
وقد قامت على صدق نبوته دلائل كثيرة : فمنها صفاته ، ومنها
معجزاته ،
ومنها نبوءاته ، ومنها البشارات به في الكتب السابقة ، ومنها ثمرات
دعوته في
الأرض ... إلا أن أعظم آية تشهد له بالنبوة هي القرآن الكريم ، قال الله
(تعالى) :
﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحاقة : 43] .

الرسول في اللغة هو المبعوث ، وإضافته إلى الله يعني أنه مبعوث
إلى
الناس ، فالرسول رجل بعثه الله ليلبغ الناس ، وأيده بالآيات الدالة على
صدقه .
أما المعنى الثاني لشهادة أن محمداً رسول الله فهو : أن ما أخبر به
من أمور
الغيب حق يجب تصديقه فيه ، وهذا الغيب يشمل الإيمان بالله وملائكته
وكتبه
ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .
وتصديقه في دعوى النبوة والرسالة يفضي إلى التسليم له بهذا العلم
الذي أخبر
به ؛ لأنه ليس من عنده ، بل من عند الله (تعالى) عالم الغيب
والشهادة .
والمعنى الثالث : أن ما أمر به من أمور الشرع عدل وخير يجب اتباعه
فيه ،
وقد أمر بشرع فيه صلاح الأفراد والأسر والمجتمعات ، فاتباعه فيه بغير
قيد ولا
شرط من تمام الشهادة له بالنبوة والرسالة .
هذه المعاني الثلاثة مترابطة ؛ فالطاعة تتفرع عن المحبة ، والمحبة
تتفرع
عن المعرفة ؛ إذ لا يمكن أن تطيع شخصاً لا تعرفه أو تتبع شخصاً لا
تحبه .
إن « لا إله إلا الله محمد رسول الله » اختيار في الحياة ، يحدد
التصور الذي
يعيش به المرء والسلوك الذي يتصرف به ، والنطق بهما يعني تحولاً على
المستوى
الفكري والواقعي ، فيهما يتحدد مصدر التلقي ، وبهما تتحدد الغاية والهدف
، وتلك
الربانية : ربانية المصدر وربانية الغاية ، فيعيش العبد بعلم الله (تعالى)
المنزل
يصوغ تصورات كما يصوغ تصرفاته .

حي على الصلاة ، حي على الفلاح :

وهاتان الجملتان تعقبان الشهادتين في الأذان ، وذكر الصلاة عقب
الشهادتين
يوافق الترتيب الذي رتب به أركان الإسلام في الأحاديث التي
عدّها .
وحيث إن الإنسان مجبول على تقديم العاجلة على الآجلة ، وتفضيل
النقد على
النسيئة ، وبما أن الدنيا عَرَض حاضر ، والآخرة وعد صادق ، فالدنيا
يراهـا
والآخرة يسمع عنها ، فالذي يحدث غالباً هو انشغال الإنسان بما يرى عما
يسمع ،

والإقبال على العرض الحاضر والغفلة عن الوعد الصادق ، فيأتي في الأذان « حي

على الصلاة ، حي على الفلاح » لينادي على الناس في أسواقهم يبيعون ويشتررون ، أو في أعمالهم يصنعون ويعملون ، أو في بيوتهم يأكلون ويشربون ، أن يوازنوا

في حياتهم بين الدنيا والآخرة ، كما أمرهم الله ، قال (تعالى) : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الجمعة : 9] . وقال (سبحانه) : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ

أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

[المنافقون : 9] . وقال عز وجل : فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ [النور : 36 ، 37] .

فقد أثنى عليهم ، ليس لكونهم تفرغوا للصلاة ولازموا المساجد لا

يبرحونها ،

بل لكونهم أصحاب تجارات وأعمال لا تلهيهم عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء

الزكاة .

إن نداء المؤذن : « حي على الصلاة ، حي على الفلاح » على رأس

وقت

كل صلاة إعلان عن وسطية الإسلام وجمعه بين الدين والدنيا ، فالمسلم في عبادة

قبل الحضور إلى المسجد ، وهو في عبادة عندما يحضر بعد سماع الأذان ، وهو في

عبادة عندما ينصرف بعد الصلاة إلى أشغاله وأعماله .

وإن مما يحب الناس في دين الله أن يعرفوا وسطيته هذه ، وأن

الاستعداد

للموت والتزير للقاء الله ليس مشروطاً بهجر الدنيا ورميها جانباً ، بل لكل وقت

عمله ، والحياة مجموعة من الأولويات ، تبرز كل أولوية في وقتها المناسب .

ثم إن النداء بـ « حي علي الصلاة ، حي على الفلاح » إيذان بانطلاق

جولة

جديدة من معركة الإنسان مع الشيطان ، فهذا العدو سيسعى جهده ليصده عن ذكر الله

وعن الصلاة وإجابة النداء والذهاب إلى المسجد معناه كسب هذه الجولة الجديدة

وتحقيق الانتصار فيها ، فالأذان يصل إلى الجميع ، ولكن الناس يختلفون : فمنهم

منتصر ومنهم منهزم ، فواحد يسمعه فيدع ما كان فيه ويجيب النداء ، وآخر يصلي

في بيته في الوقت ، وثالث يؤخرها عن وقتها ، ورابع يتركها ولا يصليها ، وبهذا

يستخرج الأذان ما في القلوب من إيمان ، أو كفر ونفاق ، ويكشف لكل عبد درجة

إيمانه ؛ فإن الإيمان يعرف عند الطاعات ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ

خاشعون ﴾ [المؤمنون : 1] ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون : 9] .

والناس عندما يسمعون « حي على الصلاة حي على الفلاح »

تحضرهم

صور مختلفة لهذه الصلاة التي يُدْعَوْنَ إليها ، فكل واحد تحضره صورة معينة قد

تكون موافقة لصورتها في دين الله ، وقد يكون بين الصورتين تباعد وتنافر .

والصلاة في دين الإسلام هي الركن الثاني الذي لا يصح إسلام المسلم إلا بها ، وهي توبة متجددة ، وطهارة ظاهرة وباطنة وقوة روحية وبدنية ومناجاة بين العبد

وربه ، وهي كفارة للذنوب ، وتذكرة بلقاء الله يوم القيامة ، وشرط من شروط النجاة والفلاح في ذلك اليوم .

فمن وافقت صورة الصلاة في نفسه صورتها في دين الله ، فإنه يُعْظَمُ قدرها

ولا يسهو عن وقتها : ﴿ قَوْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾

[الماعون : 4 ، 5] .

الله أكبر الله أكبر :

هذا النداء الذي افتتح به الأذان واختتم به ، فيه تكبير الله (عز وجل) ،

فهو

(سبحانه) ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد : 9] وحيث إن الصلاة

دعوة منه (سبحانه) ينقلها المؤذن عبر الأذان ؛ ناسب افتتاحها بالتكبير ليعلم الناس

أن الله (تعالى) أكبر من كل شيء يَصَدِّهم عن دعوته ، أو يشغلهم عن إجابة ندائه

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[الجمعة : 1] .

الأذان معان ومواقف :

وكما يشدنا الأذان إلى كلماته ، يشدنا إلى تاريخه ، فتاريخه هو تاريخ الإسلام

في الأرض ، وهو تاريخ التوحيد في صراعه مع الشرك .
لما فتح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مكة ، وطهر البيت من الأصنام
التي فيه وفيما حوله ، دعا مؤذنه بلالاً ، وأمره أن يصعد على الكعبة
ويؤذن ،
فارتقى (رضي الله عنه) ، ورفع صوته بالأذان ، فكان هذا الأذان أبلغ
رسالة
لقريش تخبرها بمواصفات العهد الجديد .
ولقد قال أحد المشركين وهو يسمع الأذان ويرى بلالاً يجهر به فوق
الكعبة :
« أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً ؟ » وقال آخر : « الحمد
لله الذي
قبض أبي قبل أن يرى هذا اليوم » فكانت كلمات هذين المشركين
تلخيصاً لما
دافعت عنه قريش مدة عشرين عاماً ، ولكن الحق إذا جاء زهق الباطل ،
ولقد كانت
تلك الأصنام قبل قليل آلهة تعبد ، أما الآن فالله أكبر ولا إله إلا الله .
وارتبط الأذان في فترة النبوة باسم بلال وإن كان لرسول الله مؤذنون
آخرون ، ولما توفي النبي -صلى الله عليه وسلم- امتنع بلال عن
الأذان ولحق باليشام
مجاهداً ومرابطاً في سبيل الله ، فلما فتح المسلمون مدينة دمشق وذهب
عمر (رضي
الله عنه) يزورها ، توسل رؤساء القوم إلى بلال وكان حاضراً أن يؤذن
فأذن إكراماً
لمقدم أمير المؤمنين ، فما رؤي أحد إلا وهو يبكي ؛ لأن صوته الذي
انقطع عنهم
أكثر من اثني عشر عاماً ذكرهم بأيام عزيزة عندما كان يؤمهم سيد
الخلق (عليه
الصلاة والسلام) ، فقد كان المسلمون إذا فتحوا بلداً بنوا به المساجد ،
ورفعوا فيها
الأذان ، وأقاموا فيها الصلاة ، وجلسوا بها لتعليم العلم .
وصار سماع الأذان في قرية علامة على إسلام أهلها ؛ فإذا سمعه
المسلمون
كفوا عنها ، وميزوها عن غيرها من القرى الكافرة ، وكان لصيحة (الله
أكبر) وهي
من كلمات الأذان هيبتها عبر التاريخ الإسلامي ، فقد كانت تزلزل قلوب
الأعداء ،
وتلقي الرعب في قلوب الكفار ، فهي كلمة الثبات وكلمة النصر ،
فإذا غزا
المسلمون قالوا : « الله أكبر » ، وإذا فتح الله عليهم ونصرهم أذنوا
فقالوا : « الله
أكبر » .

ولقد استغل التتار أيام هجومهم على بلاد الإسلام دور الأذان في جمع المسلمين عند ساعة المحنة ، فكانوا إذا خربوا مدينة من مدن الإسلام يرفعون الأذان في بعض مآذنها بعد يوم أو يومين ، فكل من كان مختبئاً يخرج معتقداً أن العدو زال عن المدينة ، فكانوا يغرون بهم ويقتلونهم ، وبقي الأذان والمئذنة رمزاً في صراع المسلمين وأعدائهم ، وكانت أحقاد اليهود والنصارى والمشركون تتجه أول ما تتجه إلى المآذن والمؤذنين ، وكلنا يتابع ما يفعله الصرب في البوسنة وما يفعله الصهاينة في فلسطين والهندوس في الهند والروس في الشيشان ، وما يفعله غيرهم في بلاد مختلفة من العالم ، مما يبين أن الأذان والمئذنة رمز لأمة ، وشعار لدين ، فهما مستهدفان كما يستهدف اللواء في المعارك والحروب .

الأذان والدعوة إلى الإسلام :

الأذان كلمات لا إكراه فيها ، بل فيها دعوة إلى الإيمان بالحق والعمل بمقتضاه ، ولعل إدراك الغرب النصراني أن الأذان سينتصر على الناقوس سبب في أنهم لا يزالون يمنعون رفعه في المساجد الموجودة ببلادهم ، ولكن عندما تكون أغلبية السكان بهذه البلاد مسلمين سيرفع الأذان فوق المساجد ، ولبلوغ هذه الغاية فإن هؤلاء السكان بحاجة إلى من يشرح لهم كلمات الأذان ، ومن يترجم لهم ما يقوله المؤذن ، فالأذان ليس للمسلمين وحدهم ولكنه نداء عالمي كما أن الإسلام دعوة عالمية .

إن عدداً من السياح الأجانب عندما زار بلاد المسلمين تساءلوا عندما سمعوا الأذان عما يقوله هؤلاء المؤذنون ، ودفعهم ذلك إلى التساؤل عن الإسلام .

خاتمة :

إن من أسوء ما يبتلى به المسلمون ، أن تجرد شعائر دينهم من معناها ، وتفرغ رموز دينهم من دلالتها ، فتتحول إلى رسوم وأسماء ، والواجب أن نقول ذلك بقوة لتبقى لهذه الرموز دلالتها ، تستعيد ما كان لها من معنى يوم شرعت أول مرة ،

وهذا يفرض علينا إحياء طريقة السلف في تلقين أحكام الدين حتى لا
تقصر على
جانب واحد ، فإذا تناولنا أحكام الأذان على سبيل المثال لا نقتصر على بيان
ألفاظه
والأدعية التي تكون بعده وما يشترط في المؤذن ، بل نجمع إلى ذلك ما
ذكرناه في
هذا الموضوع ، ونفعل مثل هذا في دراسة الصلاة والزكاة والحج والصيام ..
وسائر
شعائر الإسلام .

-
- (1) رواه الترمذي وأحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة ، وقال الترمذي :
حسن صحيح وانظر : صحيح سنن أبي داود ، ج 1 ص 98 ح 469 ، وصحيح ابن
ماجه ، ج 1 ص 118 ح 706 .
(2) وفي الحديث : أنه علمه في الرؤيا ألفاظ الإقامة أيضاً .
(3) مسلم : كتاب الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن ج 1 ص 288 .
(4) أخرجه الحاكم في المستدرك (ج 4 ص 98) عن ابن عباس بلفظ : لا تشهد
إلا على ما يضيء لك كضياء الشمس ولكن تعقبه الذهبي ، وضعفه الألباني في
إرواء الغليل (ج 8 ص 282)
- البيان -.

خواطر في الدعوة لا يذهب العرف بين الله والناس

محمد العبد

قال : محدثي : لم أكن أهتم بمجلة البيان ، كنت أمر على المكتبات ولا أعيرها اهتماماً ، ولا ألتفت إليها ، وليس ذلك لأنني سمعت دعاية منفرة منها ولكن هكذا وقر في ذهني : أنه ما عساها أن تقدم لنا مثل هذه المجلة ؟ وماذا سيكون فيها من جديد ؟ ولم يشجعني أحد على اقتنائها ، أو يذكر ما فيها من موضوعات ، إلى أن لفت نظري عرض مغرٍ لبيع الأعداد القديمة منها ، فاشتريتها ، وبدأت أتصفحها ، ووجدت نفسي منجذباً إليها ، فكنت لا أترك العدد حتى أقرأه كله ... كانت موضوعات مفيدة ، لا تبلى مع مرور الزمن ، وهكذا وضعت برنامجاً لنفسي : أن أقرأ كل الأعداد السابقة .
لم يكن هذا الكلام غريباً عليّ ، ولكنه ذكرنا بالحقائق التالية :

- 1- إن الجهد العلمي الأصيل لا يذهب هدرًا ، وإذا لم تتم الاستفادة منه في الحاضر ، فإنه يستفاد منه مستقبلاً « لا يذهب العرف بين الله والناس » ، وما زال الناس يكبرون الجهود العلمية النافعة الصادقة الموفقة من الله (سبحانه وتعالى) لحسن النية ، فكم من كتب في تراثنا الإسلامي ما تزال حاضرة معنا ، نفهم من خلالها نصوص الوحيين ، وكأنها كتبت لتعالج مشكلات عصرنا ، ولم يذهب روائها ووهجها العلمي تقادمُ السنين والدهور ، ونظرة إلى اهتمام المسلمين اليوم بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية تنبئك عن هذا الذي نقول ، ذلك لأنهم وجدوا فيها حلولاً لمشكلات عصرهم .
- 2- تقصير أهل الحق أحياناً في الدعوة لحقهم ، فلا يسمع الناس بهم ، ولا يتعرفون على جهودهم ، وربما ظن هؤلاء أن الناس هم المكلفون بالسعي إليهم لمعرفة الحق وأهله ، أو ربما ظنوا أن الحق وحده كفيلاً بأن يصل إلى مسامع الناس

دون دعاية أو اتصال أو تنبيه ، ولكن الناس ليسوا دائماً على هذا المستوى ،
وإذا لم
تعرض عليهم الحق ، وبأساليب مناسبة ، وتكرر ذلك ولا تمل دون تنازل عن
المبدأ
فلا يلتفتون إليك ، ولا يسمعون بك ، ومع الأسف فإننا نجد أهل الباطل
يتقنون فنون
الدعاية لباطلهم ، ولهم في ذلك جلبة وضجيج وصوله وجولة : يخدعون
الناس
بأسماء طنانة وألقاب خادعة ، يزينون باطلهم بشتى الألوان والأشكال ،
فإن لم
يؤثروا تأثيراً كاملاً ، فلا بد أن يتركوا ندوباً هنا وجروحاً هناك .
3- يخل بعض الناس من ذكر كتاب معين ، أو مجلة إسلامية ، ليبين
ما
فيها من علم ، ولا يذكر ذلك أمام زملائه أو من يعرفهم من المسلمين ،
حتى لا يقال : إنه يروج لبضاعته (وهي ليست بضاعته) ، فهذا كله وهم
وخطأ ، فالذي عنده
خير يجب أن يقدمه للناس ، ولا يتوهم أن كل الناس سيقولون مثل هذا
الكلام ، بل
ربما كانوا له من الشاكرين ، وهل يخل المسلم مثلاً من عرض الإسلام
على غير
المؤمنين به ويزين ذلك لهم ، ويأتيهم بشتى الأساليب المقنعة ؟ ! ، فكذلك
المسلمين : إنهم بحاجة لمن يدلهم على الصواب ، ويعلمهم الخير ،
وخاصة أن بعض الناس
لا يدري ماذا يقرأ ، وماذا يدع ؛ لما يرى من كثرة المطبوع
والمسموع .

مقال نظرات في قضية ترجمة معاني القرآن الكريم (2)

بقلم : د. فهد بن محمد المالک

عرض الكاتب في صدر الحلقة الأولى تلخيصاً لهدفه مننظراته
حول
ترجمته (معاني القرآن) ، ثم استعرض تاريخ محاولات الترجمة ، مبيناً
هدف
المغرضين من المترجمين بمختلف نزعاتهم ، واستصعب الإجابة
الشفافية
عن : « أي الترجمات المتوفرة في الأسواق في لغة معينة أصح من غيرها
وينصح بها ؟ » . وحلقنا هذه هي الثانية في نظرات الكاتب (وفقه
الله) .

- البيان -

بعد أن تطرقنا في الحلقة الماضية إلى بعض القضايا المتعلقة بترجمة
معاني
القرآن الكريم ، وبعد أن أعطينا لمحة تاريخية عن المراحل التي مرت بها
ترجمة
معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية عموماً وإلى اللغة الإنجليزية
خصوصاً ،
لعلنا في هذه الحلقة نلقي الضوء على بعض القواعد والتوجيهات حول هذه
القضية ،
إضافة إلى بعض الملحوظات المرتبطة بهذا الموضوع .
إذا كان من الصعب جداً الجزم بأن تفسيراً من تفاسير القرآن
الكريم يمكن
اعتباره التفسير الكامل الشامل ؛ وذلك بسبب الإعجاز القرآني الذي
لا يمكن أن
يشمله تفسير واحد ، وإذا كان كل ما بوسعنا حيال ذلك هو القول : بأن هذا
التفسير
تميز بكذا وكذا ، وذلك التفسير من خصائصه أنه كذا وكذا .. إلخ ، فكذلك
الحال
عند النظر إلى ترجمات القرآن الكريم مع فارق النسبة ، فكل ما بإمكاننا
قوله حول
الترجمات : إن هذه الترجمة تميزت بقوتها اللغوية ، وتلكم الترجمة
امتازت
بالتعليقات الهامشية ، والثالثة تميزت بسهولة ألفاظها ووضوحها لكل
قارئ ، على
أن العامل المشترك بين جميع الترجمات هو : أنها لا تمثل إلا جزءاً
يسيراً من
المدلولات البلاغية والإعجازية المتوفرة في النص القرآني
العربي .

أنواع الترجمات :

إلحاقاً لما سبق ذكره في العدد الماضي حول المقصود بالترجمة ، وإجابةً لبعض الاستفسارات التي طرأت أو قد تطرأ على بعض القراء ، أود أن أبين أن هناك نوعين من أنواع الترجمة هما :

(أ) الترجمة الحرفية :

وهي الترجمة الحرفية المساوية لألفاظ القرآن الكريم كلمة بكلمة وجملَةً بجملَةٍ . وهذه الترجمة عادة ما تكون قاصرة وناقصة ، وتُشَوِّهُ المعنى ، ولا تحقق الغرض الأساس من الترجمة ، بل إنها أحياناً تكون أبعد ما تكون عن المعنى الصحيح لمدلول الآية ، وهذا النوع من الترجمة محرم قطعاً ؛ لما يسببه من عدم الدقة في نقل معاني ألفاظ القرآن الكريم . ولعل في الأمثلة الآتية ؛ التي اقتطعتها من بعض الترجمات المتوفرة في

الأسواق ، ما يوضح صدق هذا الكلام :

(1) قوله تعالى ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ

الْمُؤْمِنُونَ *

يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الروم : 4 ، 5]

All matters, Past and Future, are predestined by God;

then the Faithfull shall be delighted by Gad's vectomy

(2) قوله تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : 3] .

He (God) is the first and the Last; He is the Vesible and the Invesible; He Is the Omniscient

انظر هنا مثلاً : هذا الخلل العقدي الكبير في ترجمة ﴿ الظاهر

والباطن ﴾

على أنها the visibile and the invisibile وهو خلل قد يؤدي بمعتقده

إلى سوء العاقبة ؛ حيث إن الترجمة

توحي بأن الله سبحانه وتعالى في الدنيا مرئي ، ويمكن رؤيته ، تعالى الله

عن ذلك

علواً كبيراً .

(ب) الترجمة التفسيرية « بالمعنى » :

وهو بيان معنى الكلام بلغة أخرى من غير تقيد بترتيب كلمات الأصل

، أو

مراعاة نظمه ، وهنا يقوم المترجم بالإتيان بعبارات وجمل حسب

قواعد اللغة

المترجم إليها ؛ فالترجمة هنا ليست لفظية مساوية للأصل ، وإنما هي

ترجمة

تفسيرية وتوضيحية . وهي لاتنقل كلمات القرآن الكريم حرفياً لأن ذلك مستحيل
عملياً وإنما تقوم ببيان المراد من الآيات بلغة أخرى . وهذا هو النوع المطلوب الذي
يجب على المسلمين القيام به والتصدي له ، ويشفع لذلك ما قاله علماء الإسلام كابن
تيمية (رحمه الله) ، حينما قال في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : «
ألفاظ القرآن العربية منزلة على ترتيب الآيات فليس لأحد أن يغيرها عن اللسان
العربي باتفاق المسلمين ، ولكن جُوز تفسيرها باللسان العربي وترجمتها بغير
العربي »^[1] ، و كما قال الشيخ محمد حسنين مخلوف في رسالة له حول حكم
ترجمة القرآن : « الترجمة الحرفية المثلية للقرآن الكريم بأية لغة غير معقولة ولا
ممكنة ، والترجمة التفسيرية جائزة قطعاً ، وهي ترجمة للتفسير لا للقرآن »^[2] أما
الشيخ محمود شاكر (رحمه الله) فيقول في كتابه (القول الفصل في ترجمة القرآن
إلى اللغات الأجنبية » : « أجمع فقهاء الإسلام وأئمة الدين المجتهدون على جواز
تفسير القرآن باللغة العربية وبأية لغة أخرى من اللغات الأعجمية »^[3]
وقد حاول بعض المسلمين أن يقدموا عملاً وسطاً بين الترجمة الحرفية
والترجمة التفسيرية ، فاختاروا ما يسمى بترجمة معاني القرآن الكريم هروباً من
الخرج الشرعي دون تحديد للكم من المعاني اللازم لإخراج الترجمة عن كونها
ترجمة حرفية للقرآن الكريم حتى تصبح ترجمة معاني ، ولو ألقينا نظرة على
الموجود في الساحة الآن ، لوجدنا الكثير من الترجمات التي كتب عليها أنها
ترجمات معاني بلغة كذا عند دراستها أنها تكاد تكون ترجمة حرفية للقرآن الكريم ،
إلا ما يضطر إليه المترجم من عدم التطابق لطبيعة اختلاف اللغة .
وتتأرجح ترجمة المعاني دون أي انضباط بين الترجمة الحرفية والترجمة
التفسيرية ، وتختلف طولاً وقصراً دون مقياس معروف ؛ لذا نجد بعض العلماء قد

قسم هذا النوع من الترجمات (أي ترجمات المعاني) إلى العديد من الأقسام مثل :

ترجمة معنوية ، وترجمة تفسيرية ، وترجمة مساوية ، وترجمة شبه مساوية ،

وترجمة غير مساوية [1] .

ومن المعلوم أن من شروط المفسر التي ذكرها علماء الأصول أن يكون

المفسر مسلماً صحيح الاعتقاد ، مجرداً عن الهوى ، وأن يطلب أولاً تفسير القرآن

بالقرآن ، ثم يطلبه بالسنة النبوية المطهرة ، فإن لم يجد رجع إلى أقوال الصحابة

(رضوان الله عليهم) ، ثم إلى أقوال التابعين ، ثم يكون بعد ذلك كله عالماً باللغة

العربية وفروعها : كالنحو ، والصرف ، وعلم الاشتقاق ، وعلوم المعاني ، والبدع ، والبيان وعلم القراءات ، وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والآثار المبينة

لتفصيل المجل ، وتوضيح المبهم ، وغير ذلك من صفات المفسرين التي ذكرها

العلماء .

وفي مقابل ذلك فإن صفات الغالبية العظمى من المترجمين لكتاب الله العزيز

هي : عدم الإيمان بكتاب رب العالمين ، والشرك بالله والتثليث وعدم معرفة اللغة

العربية (أو معرفتها بقدر يسير جداً) ، وبغض الإسلام وأهله ، واعتبار القرآن كتاباً

من تأليف محمد فيسمونه كما ذكرت سابقاً « قرآن محمد » ، كما أن نسبة كبيرة

منهم هم قساوسة أو رهبان أو مستشرقون أو كهنة أو يهود أو منصفون أو قاديانيون

مارقون .

فعلى سبيل المثال : فإن آخر لغة أوروبية ترجم القرآن الكريم إليها هي اللغة

النرويجية عام 1980م واسم المترجم (إيناربرج) وهو مدرس زراعة مدمن

للكحول من « أوصلو » .

وهناك قلة قليلة من المسلمين تعد على الأصابع قامت بترجمات إلى اللغة

الإنجليزية والفرنسية وغيرها ، إلا أن غالبية هذه القلة لم تسلم من الشوائب

والانحرافات العقدية . وقد أصبحت هذه الترجمات وهؤلاء المترجمون محسوبين

على الإسلام وأهله وهم ليسوا كذلك ، وهذا مصداق ما ذكرته في الحلقة الماضية من أن المترجم البدعي يترجم على حسب فكره ومنهجه ومعتقداته الباطل ، خذ على سبيل المثال : ترجمة محمد علي ، و ترجمة محمد ظفر خان ، وانظر ما حوته هاتان الترجمتان من الأفكار القاديانية التي تتعارض أساساً مع أبسط أصول الإسلام الصحيح ، على أن هاتين الترجمتين لهما رواج كبير وشهرة واسعة في بعض الأوساط الغربية وفي بلاد الهند والباكستان .

أهم خطوات الترجمة التفسيرية المقبولة :

بعد أن عرفنا أن الترجمة الحرفية للقرآن الكريم مستحيلة قطعاً ومحرم شرعاً ، وبعد أن عرفنا أن الترجمة الصحيحة المقبولة هي تلك التي تنقل المعاني المفسرة للآيات القرآنية من العربية إلى لغة أجنبية ، لعلنا فيما يلي نذكر بعض الشروط والقواعد في مثل هذه الترجمة التفسيرية ، ولعل في قرار الأزهر الشريف حسماً للموضوع وحلاً أمثل ؛ حيث رأى علماءه أن يوضع تفسير موجز للكتاب الكريم باللغة العربية ، ثم يترجم هذا التفسير إلى اللغات المختلفة ، لذا فقد وضعوا قواعد عامة لهذا التفسير ^[4] ، كما أن الدكتور محمد أحمد إبراهيم أبو فراخ ^[5] ذكر بعض الأمور والخطوات للإقدام على مثل هذا العمل . وفيما يلي بعض من هذه القواعد والخطوات :

1- من الضروري جداً أن تشير الترجمة إلى طبيعتها ، وأنها ترجمة تفسيرية تفصل معاني القرآن الكريم وآياته ، وليس ألفاظه ونظمه المعجز ، فذلك مستحيل كما أوضحنا ذلك من قبل .

2- أن تكون الترجمة و التفسير خاليين بقدر الإمكان من المصطلحات والمباحث العلمية إلا ما استدعاه فهم الآية .

3- ذكر الأدلة من القرآن أو من السنة أو من الشواهد اللغوية التي تساعد القارئ على فهم الآيات .

4- أن يكون التفسير وترجمته ميسرين تيسيراً واضحاً بعيداً عن الخلافات

المذهبية ، وأن تُنتقى الآراء التي اتفق عليها جمهور المفسرين .
5- قد يحتاج المترجم إلى إضافة هوامش في ترجمته التفسيرية ،
يوضح فيها
مزيداً من المعاني والألفاظ ، أو المراجع المهمة ، وهذا من الأمور المحبذة
للمترجم
شريطة أن يكون ذلك مختصراً وبعيداً عن الإسهاب الممل .
ولعلنا في الحلقة القادمة نلقي الضوء على بعض الترجمات المشهورة
المنتشرة
في الأسواق ، ونعطي بعض الملحوظات عليها ، تنبيهاً وتحذيراً للإخوة
القراء .

-
- (1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج 2 ص 11 ، شيخ الإسلام ابن تيمية .
(2) رسالة في حكم ترجمة القرآن ص 11 ، الشيخ محمد حسنين مخلوف .
(3) القول الفصل في ترجمة القرآن إلى اللغة الأجنبية ، الشيخ محمود شاكر
ص 33 .
(4) الهيئة العالمية للقرآن الكريم ضرورة للدعوة والتبليغ ، د حسين المعايروجي .
(5) تراجم القرآن الأجنبية في الميزان ، مجلة كلية أصول الدين جامعة الإمام
محمد بن سعود د محمد أحمد إبراهيم أبو فراح .
(*) للمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب الدكتور
حسن المعايروجي (الهيئة العالمية للقرآن الكريم ضرورة للدعوة والتبليغ) .

مقال الحلقة الأخيرة

بقلم : فاطمة بنت عبد الله البطاح

هذا الموضوع أجيز من هيئة التحرير لسببين : لأنه يطرح قضية حيوية مهمة يجب أن تكون محل اهتمام الكثير من الدعاة إلى الله ، ولأنه بقلم كاتبة وليس كاتباً فهي تكتب عن معاناة حقيقية ليست بالضرورة شخصية بقدر ما هي حالة معاشة في مجتمعاتنا المسلمة جسدتها الكاتبة في هذه السطور ، ولعل الموضوع يكون مجالاً للحوار بين من يعنيه الأمر .
وسينشر كل تعقيب ينطلق من رؤية شرعية مع الالتزام بآداب الحوار .

- البيان -

أحياناً : تسمع عن فتاة صالحة مصلحة ، كانت شعلّة من نشاط ، يجري حب العمل لدين الله في عروقها ، ويمتلئ فؤادها الغض حباً ورغبةً للدعوة إلى ربها ، تتحرق لمصائب الأمة وتهتم بالإصلاح وتفكر فيه وتنشغل به . ولكن ...
حينما تضرب الدفوف معلنةً زواج هذه الفتاة ، لا بد وأن تُعلن معها نهاية الحلقة الأخيرة من سلسلة نشاط هذه الفتاة وحماسها وهمتها في غالب الأحيان .
فينتهي مع زواجها كل شيء يتعلق بماضيها الطيب ودعوتها الخيرة ، وكأن تراب النسيان قد أُهبل على دعوتها ووعيتها ، فأصبح ماضياً لا يخطر على بالها منه شيء ، اللهم إلا ذكريات حلوة ! تردها بين حين وآخر ... كنت وكنت !
أما لماذا تبدل الحال وأصبح زواجها من (الصالح الخير) ! حلقة أخيرة

في

سلسلة نشاطها وهمتها ؟ !

فذاك سؤال تطول الإجابة عليه ، بيد أنني على أي حال سوف أختصر الحديث في نقطتين أحسبهما داءً يحتاج منا إلى دواء ، ولا أزعج مع هذا ، أنني سأوفيها حقهما من الإيضاح ، لكن عسى أن تكون هذه الأسطر إشارة ضوء لمن يستطيع المعالجة .

قعيدة البيت ! !

ثمة رجال ، لا يرون المرأة إلا قعيدة بيت ينبغي ألا يرقى تفكيرها عن شؤون المنزل ، ولا تخرج هماتها وهمومها عن دائرة تلميع الحذاء ، وكي الثوب ! !
وربما عاب « هؤلاء » ونقدوا كل من أعطى زوجته من وقته ، فحدثها عن قضايا تتعلق بحال الأمة ومآسيها ومصائبها ومكر أعدائها ، وبحسب هؤلاء أن إدخال المرأة في مثل هذه الأمور ضرباً من ضروب تضييع الوقت ، وتشتيت الجهود !

متى يُدرك هؤلاء أن المرأة وإن كانت « قعيدة البيت » جسمياً ! فليس ضرورياً أن تكون قعيدته فكراً وحساً ؟ ! .
وهي المرأة التي كرمها ربها بالعقل ، وأعزها بالدين ، وأنقذها من براثن الجاهلية وذلها ! .

ووالله إنه ليحزنك ويحز في نفسك ، عندما تتحدث إحدى زوجات بعض الصالحين الأخيار عن قضايا مهمة علقت على حبالها رقاب أبناء الأمة ! وأهدرت بذلك عزتها قبل ثرواتها ، تكتشف بمرارة ! أن هذه المرأة لا تعي شيئاً من ذلك فضلاً عن أن تعي أبعاد هذه الأمور ومسبباتها .

لا أدري لماذا يسعى هؤلاء إلى إبعاد المرأة عن عالمهم ؟ ! ولماذا لا يحاولون

تعليمها ، وزرع حب الدين في قلبها ، وإنماء فكرها ووعيتها ؟ !
قال (عليه الصلاة والسلام) في حديث صحيح : « يا عائشة لولا أن قومك

حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة ، فجعلت لها بابين : باب يدخل منه الناس وباب يخرجون منه » [1].

ترى ما صلة عائشة وهي امرأة جليلة قعيدة بيت بالتغيير الذي هم الرسول

بإحداثه في الكعبة ؟ !

إذ لو كان الأمر بيتياً أو على الأقل نسائياً لما تعجبت !
لكن أن يتحدث نبي - صلى الله عليه وسلم - هذه الأمة ومصباح الدجى فيها

ومرشدتها وإمامها وعالمها مع امرأة في أمر قد يظن بعضهم أنه لا صلة لها به ، فإن هذا والله هو التربية !

وهذا والله هو المربي الذي يريد أن يرتفع بهوم نساءه وهمتهن ؛
لتناطح
السحاب بسموها علواً ورفعاً !!
ولن نعجب بعد هذا إذا علمنا أن هذه (المرأة) « قد أصبحت بعد وفاة زوجها ومعلمها عالمةً يرجع إليها الصحابة فيما أشكل عليهم ؛ قال أبو موسى (رضي الله عنه) : « ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً » ! .

وكانت (رضي الله عنها) تمارس لوناً من النقد والرد على بعض اجتهدات الصحابة علانية ؛ مما جعل الإمام الزركشي يجمع انتقاداتها لبعض فتاوى الصحابة في كتاب أسماه : (الإجابة في إيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) [*]

أما أن يترك الرجل الصالح زوجته في واد ، ويبقي هو وهمومه ونشاطه ودعوته في وادٍ آخر ! فلتترحم الأمة على إحدى فتياتها المتوفيات ! !

ضيق الخناق :

ثمة رجال أخيار يعينهم أمر الأمة وصلاح نساءها ، وقد تجد أحدهم جاداً في تربية زوجته وإعانتها على أمور دينها ، وزرع الحماس في قلبها للعمل الخير والدعوة بين صفوف النساء ! لكنك مع ذلك تراه وقد ضيق الخناق الدعوي على زوجته ، فيرى مثلاً أنه لا

داعي لخروجها مع قدرتها وتوفر إمكاناتها لإقامة درس أو إلقاء موعظة ، أو حتى

الاشتغال بإعداد موضوع مفيد أو كتابة مقال هادف !

أما لماذا ؟ ! فذاك أحسبه راجع لسببين :

(أ) إما عدم وجود رغبة لديه للتضحية والإيثار بالذات ، مع علمنا أن

اشتغال المرأة بالدعوة والتحصيل والطلب ربما تعارض مع بعض شؤونها البيتية !

وهنا لا بد لهذه المعضلة (عدم التوافق) من حلول يشترك في صناعتها الطرفان :

الرجل والمرأة مع يقيني أن في حديث الرسول (عليه الصلاة والسلام) الذي رواه

البخاري « سدّوا وقاربوا » نور لمن أراد أن يستضيء به !

(ب) وإما مراعاة منه أو تماشياً مع بعض العادات الاجتماعية التي نشأ عليها ؛ إذ يخاف مثلاً أن يُعاب عليه نشاط زوجته الدعوي ، أو ذكر اسمها في المجالس ،

أو ترديد بعض كلامها المنشور أو المسموع .
ولو تأمل لوجد أن الرسول (عليه الصلاة والسلام) صدع ببعض المبادئ

على ما فيها من مخالفة لمألوف قومه ومعهودهم ! ! فلم يكتف الرسول (عليه الصلاة

والسلام) مثلاً بوضع ابنته الصغيرة في حجره ، إنما تعدى ذلك إلى أن يحمل بنات

الناس ، فما أن تولد البنت إلا ويهرع بها أهلها إليه ، ليضعها في حجره . ويدعو لها

بالبركة ! [2]

يفعل ذلك أمام جمع غفير من الناس ، متحدياً ومخالفاً تقاليد البيئة التي يستحي

الإنسان فيها أن يُرزق أنثى ! فضلاً عن النطق باسمها أو التلطف معها والتودد إليها!.

وكم يأخذك العجب إذا رأيت بعضاً من ناشطات زوجات أو بنات أولئك الذين

يتحدون نقاء المجتمع ، فيرفعون بقولهم أو فعلهم رايات التخريب والعلمنة والفساد

في الأرض ! فكم تحمّل هذا أو تلك تبعات مجاهرة ابنته أو زوجته بفسادها وحُبث

طويتها على صفحات الجرائد والمجلات .

أتظنون المرأة التي خرجت من بين صفوف نساءنا ، لتعلن على الملأ أن

الحجاب من مخلفات عهد التخلف والظلام ! أتظنون هذه تسير وحدها ، ولا يوجد

خلف ظهرها وليّ : أب ، أو زوج يسندها ويقوي عزيمتها ! !

قبل النهاية :

أحسب والله أعلم أنه أصبح وجود المرأة الداعية من متطلبات هذه المرحلة

التي تعيشها الأمة وتمر بها ! ، كما أحسب أيضاً أن المرأة الداعية هي أحوج الناس

إلى التربية الجادة والمستمرة !

وإلا فستفتح عينها يوماً لتكتشف أنها أصبحت متداعية لا داعية ! .

(1) أرجوا ألا يشم بعضهم من هذه الأسطر رائحة هجوم على مكوث المرأة في بيتها ! إذ إنني للإشارة فقط ما زلت أحفظ وأعي قول الله (تعالى) : [وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ] [الأحزاب : 33] ! .

(2) أخرجه : البخاري في كتاب الحج ، فصل مكة وبنائها ، وكذلك مسلم في كتاب الحج ، باب جدر الكعبة وبابها .

(*) هذا الكتاب مطبوع بعناية وتحقيق الشيخ سعيد الأفغاني .

مقال وقفة مع دعوة المرأة في غرب إفريقيا مندوب البيان في غانا

إن من يسير في شوارع مدن غرب إفريقيا ، ويتجول في أسواقها يدرك الحالة السيئة التي تردت إليها المرأة الإفريقية وماوصلت إليه حتى تحولت إلى امرأة غربية ، وفتنت بتقليدها والسير وراءها ، فصرت لا تفرق في الغالب بين المرأة الإفريقية والغربية إلا في لون البشرة .
ياترى هل يظل الدعاة صامتين أمام هذه التحديات المعاصرة ، وأمام هذا الغزو الذي يوجه للمرأة المسلمة ؟ أم لابد من التكاتف والسعي في النهوض بالمرأة استجابة لقوله (تعالى) : ﴿ وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : 104] .
إن المرأة هي الزوج ، وهي الأم ، وهي مربية الأجيال ، بل هي شريان المجتمع وقلبه النابض ، فكيف يسوِّغ الدعاة لأنفسهم أن يهملوها ؟
وهذه السطور هي خلاصة مركزة لبعض البحوث التي قدمها بعض الدعاة المشاركين في الملتقى الدعوي الثالث الذي أقامه المنتدى الإسلامي في « لومي » عاصمة « جمهورية التوجو » في الفترة (310/3/1416هـ) .
أمور لا بد منها في دعوة المرأة :
أولاً : إن الله (سبحانه وتعالى) بحكمته قد فضل الرجال على النساء وأعلى درجتهم ، كما قال : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى ﴾ [آل عمران : 36] وقال : ﴿ لَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء : 32] ، ولذا كان الرجال لهم القوامه على النساء ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة : 228] .
ثانياً : إن الدعوة الموجهة للمرأة لا ينبغي أن تكون مدعاة لإخراجها عن

فطرتها وعن أنوثتها ؛ فالأصل في المرأة أن تقرّ في البيت ۞ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ۞ [الأحزاب : 33] وقال : « المرأة عورة ، فإذا

خرجت من بيتها استشرفها الشيطان حتى ترجع » [1].
ثالثاً : للمرأة أحكام خاصة لا بد من مراعاتها في أي نشاط دعوي يوجه إليها ، ومن ذلك :
أ- تحريم سفرها دون محرم كما قال : « لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم » [2].

ب- تحريم خلوة المرأة بالرجال الأجانب ، كما قال : « لا يخلون رجل بامرأة إلا كانا لثهما الشيطان » [3].
ج- تحريم اختلاطها بالرجال الأجانب ، فقد قال للنساء : « استأخرن ؛ فما يكون لكنّ أن تحقّقن الطريق » [4] أي تركبن وسطها .. إلى غير ذلك من الضوابط الشرعية التي لا يجوز الإخلال بها .
رابعاً : يضرب كثير من أعداء الإسلام على هذا الوتر الحساس ،

ويتهمون الإسلام بأنه أهان المرأة وانتقص كرامتها وعدّها مخلوقاً ناقصاً ، وهذا الأمر تأثر به بعض من دعاة الإسلام ؛ فدعّوا إلى التخفف والتفلت من كثير من الضوابط الشرعية ، فصاروا لا ينكرون أن تجتمع المرأة مع غير محارمها ، وتخالطهم وتبقى معهم الساعات الطوال ، وربما سافرت معهم ؛ مما يلزم معه التأكيد على دعاة أهل السنة : ضرورة الانضباط الشرعي في ذلك ، وعدم الرضوخ لضغوط المجتمع وأهوائه .

خامساً : الأصل في الدعوة والتصدر للميادين العامة أنها للرجال ؛ وهكذا كان الأمر في عصر الرسول ، وصدر الإسلام ، وسائر قرون الأمة ، نعم يروي التاريخ لنا عن نماذج فذة من النساء المؤمنات ، لكن لا تقارن هذه النماذج بحال بما يرويه لنا ويحفظه عن الرجال ، وهذا مصداق قوله « كَمُلْ من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » [5].
سادساً : وذلك كله لا يدعو إلى إلغاء دور المرأة وتهميشه ، والسعي إلى

تحجيمه وإهماله ، فيبقى لها دور لا ينكر ، وشأن له أهميته لكن مع التأكيد على ما سبق من الضوابط الشرعية .

تأهيل المرأة المسلمة الداعية ضرورة شرعية للأسباب الآتية :

أولاً : أن المرأة أقدر من الرجل على البيان فيما يخص الوسط النسائي .
ثانياً : أن المرأة أكثر تأثراً بأختها في القول والعمل والسلوك .
ثالثاً : أن المرأة أكثر إدراكاً لخصوصيات الوسط النسائي ومشكلاته .
رابعاً : أن المرأة أكثر قدرة وحرية في الاتصال بالنساء ؛ سواء بصفة فردية أو من خلال المجامع النسائية العامة .

خامساً : أن الكثير من المسلمات اللاتي يحتجن إلى الدعوة والتوجيه يفتقرن إلى وجود المحرم الذي يمكن أن يقوم بدعوتهن .
هذه الجوانب تتفوق فيها المرأة ... ونؤكد على أنه مع قيام الرجال بالعبء الأكبر في قضية الدعوة ومنها الدعوة الموجهة إلى المرأة فلا بد أن تسهم المرأة في ذلك .
إن الرجل يمكنه أن يؤدي دوراً مُهمّاً في دعوة المرأة من خلال الكتابة ،
والحديث المسجل ، أو من وراء حجاب ، ومن خلال توجيه زوجته ومحارمه ،
لكن تبقى ميادين أخرى بعد ذلك لابد أن تسهم فيها المرأة في الدعوة لبنات جنسها ؛ إذ
هي أقدر من غيرها على أدائه .

واقع المرأة في إفريقيا :

يمكن أن تقسم المرأة المسلمة في غرب إفريقيا إلى الأصناف الآتية :

الصنف الأول : النساء اللاتي لم يتلقين أي قسط من التعليم والتدريس ، وهذا
الصنف هو الغالب على المرأة المسلمة في غرب إفريقيا : في المنزل ، أو الحقل ،
أو السوق ، وهنّ يقلدن أولياءهن وأزواجهن ، ويتأثرن في الغالب بالأعراف والعادات الاجتماعية السائدة .

الصنف الثاني : النساء اللاتي تلقين قسطاً من التعليم الشرعي ؛ سواء على منهج سليم أو منحرف ، وهذه النسبة هي الأقل .

الصف الثالث : النساء اللاتي تلقين التعليم في المدارس الحكومية العلمانية ،

وعدد من هؤلاء النسوة يعملن في الوظائف العامة في المؤسسات الرسمية ، ويسيطر النمط الغربي على حياة هذا الصنف وتفكيره ومظهره ، ولاتكاد تميز المرأة منهن عن المرأة الغربية إلا في لون بشرتها .
وينتشر السفور والتبرج واللباس الفاضح في شوارع وأسواق مدن

غرب إفريقيا بشكل يذكرك مع الأسف الشديد بما تراه في مدن الغرب ومجامعه .

وتتمثل صور التبرج والسفور لدى المرأة الإفريقية فيما يلي :
أ- اللباس القصير الذي كثيراً ما يصل إلى فوق الركبة ، وإبراز الرأس

وأجزاء من أعلى الجسم .
ب- اللباس الضيق جداً الذي يصل إلى مضايقة المرأة في مشيتها .

ج- اللباس الشفاف الذي يكشف ما تحته .
د- التشبه أحياناً بالرجال ، ويكون خاصة في النساء اللاتي يعملن في ميدان

الشرطة والمرور ونحوهما .
هـ- وقد تعتمد بعض الفتيات إلى الرقص في الشوارع مُقلِّداتٍ بذلك رقصات الغرب .

إنه واقع كما ترى أخي الكريم ينفطر منه الفؤاد ، ويدوب له قلب من يحمل

أدنى غيرة على مجتمعات المسلمين ، ولاشك أن هذه المظاهر تخفي وراءها صوراً

من الانحراف والفساد ، وتنذر بانهايار في مثل هذه المجتمعات إن لم يبادر

المصلحون إلى إنقاذها .

مقترحات لدعوة المرأة :

أولاً : عناية الدعوة إلى الله (عز وجل) بتربية بيوتهم ، وتنشئتها التنشئة

الإسلامية العفيفة ، وإعطاء هذا الأمر أولوية في برامجهم ، وحين يعتني كل داعية

بزوجته وبناته ويربيهن ؛ فإننا بمعادلة بسيطة نستطيع أن نحصل على عدد من

الداعيات والفتيات الملتزمات بالإسلام اللاتي يحملن مشعل الهداية للأخريات بقدر

عدد ما نملك من الدعوة ، استجابة لأمر الله (تبارك وتعالى) في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا
مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ
شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحریم : 6] ولأمر
النبي -

صلی الله علیه وسلم- في قوله « كلکم راع وكلکم مسؤول عن رعيته
والرجل
راع في بيته ومسؤول عن رعيته » [6].

ثانياً : العناية بتعليم المرأة التعليم الشرعي الذي تحتاج إليه ؛ لتعرف
مايجب

عليها أن تعتقده ، ولتعبد الله (سبحانه وتعالى) كما شرع ، فهو سبيل لصحة
الاعتقاد

والعمل ، وسبيل لحماية المرأة من الغزو والإفساد الذي تواجهه من
المنصرين ودعاة

التحرر والفساد .

والتعليم الموجه للفتاة والمرأة ينبغي أن يكون له هدفان : هدف
موجه لعامة

نساء المسلمين يسعى لمحو الأمية الدينية عنهن ، وحمايتهن من دعوات
التغريب ،

وهدف موجه للمتميزات منهن ممن يراد لهن أن يقمن ببعض الأعمال
العلمية

والجهود الدعوية في الوسط النسائي .

ثالثاً : السعي لفتح مدارس ومعاهد خاصة للفتيات في المدن والقرى
، تسهم

في نشر التعليم الشرعي ، وتؤدي دورها في التربية وحماية الفتاة من
موجة

التغريب وبراثن الفساد .

رابعاً : تنظيم برامج ودورات خاصة لبعض النساء اللائي يؤمل أن
يقمن

بدور دعوي وتعليمي في أوساط النساء ؛ لرفع كفاءتهن وزيادة قدرتهن ،
مع مراعاة

الانضباط الشرعي ، وألا يترتب على ذلك سفر لهن دون محرم أو اختلاط
بالرجال .

ويمكن أن يستفاد من لقاءات الدعاة وبرامجهم ليقام ضمن ذلك
برامج لزوجات

المشاركين ممن هن من المؤهلات لهذا العمل .

خامساً : إنشاء مراكز مهنية لتعليم الفتيات والنساء بعض الحرف
المهنية التي

تلائم طبائعهن ، لتعينهن على الاستغناء عما في أيدي الناس ، وهي
خطوة تقطع

الطريق على الكثير من الخطوات التي يسلكها المنصرون ودعاة التغريب
؛ إذ هم

يجعلون هذه من الفرص للتأثير على الناس ودعوتهم .

سادساً : إقامة محاضرات خاصة ودروس موجهة للنساء ، ويمكن أن يقوم بذلك الرجال من وراء حجاب إذا لم يوجد من النساء من يقمن بذلك ، وأن يكون هناك مكان مخصص للنساء في المحاضرات والدروس العامة .

سابعاً : ترجمة الكتيبات والرسائل الموجهة للمرأة ، التي تعالج ما تحتاجه عامة النساء باللغات المحلية والسعي لتوزيعها ، وتوفيرها في المكتبات العامة والمساجد والمجامع التي يرتادها النساء .

ثامناً : تسجيل أشرطة صوتية من الرجال باللغات المحلية تعالج أهم القضايا التي تحتاجها النساء في الاعتقاد ، والعبادة ، والسلوك ، والعمل . وتسهم هذه الوسيلة في مخاطبة النساء الأميات اللاتي لا يعرفن القراءة والكتابة .

-
- (1) الترمذي : ج 3 ص 467 ، ح 1173 ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ، ج 1 ص 343 ، ح 936 .
- (2) البخاري : ج 2 ص 35 ، كتاب تقصير الصلاة .
- (3) الترمذي : ج 3 ص 465 ، ح 1171 .
- (4) البخاري : كتاب الأنبياء ، ج 4 ص 131 : 132 .
- (5) أبوداود : ج 5 ص 422 ، ح 5272 .
- (6) البخاري : كتاب الجمعة ، ج 1 ص 215 .

نص شعري لم تبكي ؟ !

شعر : عبد الوهاب الزميلي

لَمْ تبكي ؟ .. وبكت !
إنَّ لفح اللهب
ضجَّ في أحداقه
صاعداً من قلبه المتقدِّ
وصمت !
هي أبكاها بكاءً !
هي تهتَّزُّ أمامه
تتلوَّى .. ترتمي بين يديه
« لَمْ تبكي ؟ » وصمت !! !
هي ترتدُّ قليلاً للوراء
تغمض العين بحزن .. كي تراه !
هي تبكي ليكاه
هو في أعماقه الآه ..
وفي شطآنه الآه ..
وفي الأحباب آه
هو بالآهات .. يستفِّ الحياة
هو من يبكي بكاءً ؟ !
« لَمْ تبكي ؟ لَمْ تبكي ؟ »
وصمت .. !
« أيَّ حنانيكَ بقلبي .. أنت قلبي ..
كيف لا أسمع نبض القلب قربي ؟ !
وهو قلبي !! ! »
« أيَّ حنانيكَ .. حنانيكَ تكلم
أوقد الأحرف بالدم
لا عليك ..
فوقها الأشلاء والآهات والموت المكتم
لا عليك ..
لا عليك ..
إنَّما .. لا تجعل الصمت جداراً
قاسياً .. بين يديك !! !
آه يا ورد الطريق ..
آه يا إشراقة الصبح ..
ويا فوح النداء !
آه يا دفء الشتاء !
آه يا قلبي .. وهل أملك شيئاً
غير صمتٍ وبكاءٍ ؟ !
والأحاديث عن الأشلاء ..
والموت المكتم ..

لم تعدُّ تُطفئ في قلبي السؤال :
لم أبكنا وأدمانا الشمال ؟ !
ولماذا حكمه .. ينداح في وجه الرمال ؟ !
وكتابُ الله .. ! !
والكلُّ ترثم .. !
فلماذا لم يحكم ؟ !
آه يا قلبي الحزين ..
حجلٌ صمتي .. فقومي
تحت ظل « الهيكل » !
حجلٌ صمتي .. وأطوي ..
.. فيّ بركاً توارى ..
في ثنايا العزل !
آه يا قلبي الحزين ..
هل رأيت الدمعة الحيرة ..
على خد منارة ؟ !
أم رأيت الدلّ يختال على تلك البيوت ؟ !
آه ما أقسى الكلام !
فاصمتي .. ناسجةً بين الدماء
راية الفجر اللهب
واجعلي النار .. خيوط المغزل !

المسلمون والعالم من اتفاق طابا إلى نقل السفارة الأساطير والحقائق وحمامات السونا !

بقلم : د . عبد الله عمر سلطان

ماذا بعد قرار الكونجرس الأمريكي القاضي بنقل سفارة بلاده من

تل أبيب

إلى القدس ؟ سؤال يتردد في صدر كل عربي ومسلم منكسر ، يرى إرهاب النظام

العالمي الجديد ، يقبض بكلتا يديه على قدسه الشريف وأقصاه السليب .

صدر القرار حينما كانت أمريكا تستضيف عشرات المسؤولين العرب ،

الذين

تقاطروا عليها بعد أن شهدوا احتفالات الأمم المتحدة ، بمناسبة مرور خمسين عاماً

من الزور والغبن الدوليين . كان القرار رسالة موجهة إلى السائرين في ركاب الحل

الأمريكي/الإسرائيلي ، وصفعة قوية لمقاولي السلام الشجاع ، وجرعة أخرى من

المهانة إلى الذين وقعوا تلك الأرتال من الاتفاقات والوعود غير المقدسة .

كانت الصفعات تتوالى ، والذل يتشكل في أكثر من قالب ، والإهانة

تتجلى

على مستويات القيادات اللاهثة والشعوب المصمّمة ..

هل يمكن الربط بين حادث « شخصي جداً » وقرار خطر إلى أبعد

حد

حصلاً في يوم واحد ؟ .. في يوم صدور القرار كان « الزعيم » عرفات

يمضي

وقتاً طيباً في نيويورك التي فتحت أبوابها له بعد أن دفع الثمن من دم الضحايا

واتفاقات الذل وتسليم السيادة ، كان سيادة الرئيس يحضر احتفالات منظمة «

البترس » في نيويورك ، وعرفات طالما صوّرته وسائل الإعلام الأمريكية على

أنه زعيم إرهابي وثائر أقرب إلى الهمجية ، أما اليوم فإنها تُبرز وجهه الإنساني ،

وتتغنى بمآثره ولباقة التي قالت عنها صحيفة بريطانية : « إنها ربما تفتحت بعد

قِرانه بسيدة مسيحية متحضرة ! ! » .

عرفات أراد أن يثبت أنه متحضر بما فيه الكفاية ، فقرر حضور

حفلة

الاستقبال التي جرت في مركز (لنكولن) ، حيث سُنْعَرَفُ مقطوعات
موسيقية غربية
على شرف الحضور ! لم يأل الزعيم جهداً في إظهار اهتمامه بموسيقى
القوم ، فقرر
أن يحضر رغم ازدحام جدول أعماله ! لكنه كما نقلت وكالات الأنباء فوجئ
حسب
قول دبلوماسيين أمريكيين بأحد مساعدي عمدة مدينة نيويورك (رودولف
جولياني)
يربت على كتفه طالباً منه المغادرة ، بالرغم من أن الزعيم لم « يتمتع »
إلا بسماع
الحركتين الأولى والثانية لسمفونية بتهوفن التاسعة . هذا ماروته وكالات
الأنباء .
لم تجدِ تصريحات الرئيس عرفات في جامعة هارفارد بكونه «
شريكاً
للسهانية » ، وأنه يحب اليهود وقد تربى في حي كل أطفاله من
اليهود .
كانت صفة الطرد الشخصية قد تكاملت مع محاولة الكونجرس
الأمريكي
طرد « القدس » من ذاكرة ووجدان كل مسلم .. الفرق الوحيد : أن
الإهانة لعرفات
دليل رخص هذه القيادة التي جرأت السهانية الأمريكيان على الاعتراف
بالقدس
عاصمة ليهود ، ضارين بعرض الحائط كل القوانين والمشاعر
والأعراف !

لماذا هذا الإذلال ؟

هناك ملاحظات مهمة يطرحها القرار الأمريكي الظالم أمام مرأى
الأمة
الإسلامية ، التي تعودت في هذه الفترة الحالكة أن تكتفي بالمزيد من
الفواجع
والنكبات ، فبعد اتفاق واشنطن ظهر للعيان أن هذا الاتفاق لا يحقق (حتى
باعتراف
مرتكبيه « أولى المطالب الفلسطينية ، لكن المزعج حقاً أن هؤلاء
المستسلمين
لعدوهم المنفيين لمخططاته أصبحوا أقوياء على شعوبهم فقط ، شجعاناً
في تحطيم
بذرة المقاومة والتضيحة لا غير .. هنا أدركت الشعوب ما يعنيه مصطلح «
سلام
الشجعان ! » الذي طالما رددته قيادات العجز .. إنها شجاعة خنق الشعوب
وتمرير
المشروع الصهيوني الفاجر على أجسادها ..
ولم يكتف مقاولو سلام الشجعان باتفاقهم المخزي ، بل طافوا بقاع
الأرض

مزهوّين بفعلتهم تلك ، مروجين لمصطلح الشرق أوسطية الصهيونية ،
مشيدين
بمناقب أولاد العم الأطهار ! مندين بالإسلام وأهله ! من الإرهابيين الأشرار
نظر ،
المواطن المنكسر إلى هذه الحالة وقال : الغرب اكتشف فجأة براءة
السلطة التي
طالما رماها بالهمجية والتخلف .. وكلما خنق هؤلاء الإرهابيون القدامى
شعوبهم
ومارسوا همجيتهم تجاه أبناء الإسلام أصبحوا « متحضرين » و « عقلاء
»
وكلما أخرجوا من جيب شعبيهم شبراً وموطئاً غدوا « شركاء مسؤولين »
وأصحاب
نظرة صائبة وسلوك متحضر .
« ليت هؤلاء قد عاملوا عدوهم كما عامل زعماء الحركات الوطنية
في العالم
عدوهم » ، قالها طالب في جامعة غزة لمراسل محطة فضائية أوروبية ...
الطالب
لم يقل ليتهم كانوا في شموخ عمر بن الخطاب أو بسالة صلاح الدين ؛
لأن هؤلاء
هم القمم التي تحتفظ بها شعوبنا في ذاكرتها .. ومالم يقله الطالب
قالته الكاتبة
الإنجليزية (هيلينا كوبان) مخاطبة عرفات قائلة : « الإسرائيليون
وأصدقاؤهم
الأمريكيون شعروا بسعادة غامرة عندما رأوا ووصفوا بكثير من التفصيل
مدى
التقارب الشخصي بين المفاوضين ونظرائهم الإسرائيليين خلال مفاوضات
طابا ،
عندما كانوا يروحون ويأتون سوية معاً ، هل ياترى ستحاول التقرب من
شعبك
بالشكل نفسه ؟ أم أصبحت معزولاً عنه ... ربما من المناسب أن تطلب
من أحد
مساعديك الأذكياء قراءة سيرة (لوكاس مانغولي) الذي عين رئيساً لحكومة
« دولة »
بوتسوانا « المستقلة » في عام 1977م ، هل تعرف بوتسوانا ؟ لابد أنه
كان مغرمًا
مثل أصحابك بحمامات السونا ، لكن كل تلك الحمامات إضافة إلى أجهزة
القمع التي
وفرها له أصدقاؤه من الأقلية البيضاء الحاكمة في جنوب إفريقيا آنذاك
لم تستطع
إنقاذه من تطلعات شعبه إلى العدالة .. عليك بعد ذلك أن تقرأ سيرة
(نيلسون مانديلا)

و (هوشي منه) لترى مقدار الانضباط الذاتي الذي أبدياه في علاقاتهما على كل الأصعدة مع عدوٍ أقوى منهما عسكرياً ، سواء داخل قاعة المفاوضات أم خارجها ، وانظر كيف أنهما حرصا على إدامة علاقات قوية مع شعبيهما جواباً أفضل بل وحيداً على عدم التوازن في القوة العسكرية ، إذا كان لك ولفريقك التفاوضي العودة إلى الشعب ، وإذا كان للشعب أن يعود إلى تنظيم نفسه فإن هذا سيقوي موقفك في المفاوضات مع إسرائيل أكثر مما يقويه الاستحمام مع الإسرائيليين ألف مرة !! » .
ويبدو أن الزعيم المفتون بحمامات السونا ، وسمفونيات بتهوفن ، ورقّة اليهود لا يحب سماع الكلمات الجارحة التي بدت بغیضة منذ أن وَجَّهَتْ السلطة بُوصْلَتَهَا نحو الكنيسة والبيت الأبيض .

أساطير تنهاوى :

أصبح من نافلة القول : إن القوى الإسلامية في الشارع الفلسطيني أصبحت هدفاً أولّاً للاتفاقات والمفاوضات والصفقات العرفاتية/ الإسرائيلية ، وطال هذا حتى الجماعات العلمانية التي تقول : (لا لمفاوضات وتنازلات « حمامات السونا » !
أصبح إدوارد سعيد الوجه العلماني / الليبرالي للمنظمة بدون مقدمات راديكالية ، واكتشفت السلطات اليقظة : أن محمود درويش شاعر الماركسية الفلسطينية ورمزها ليس أكثر من صوت للفتنة وهو كذلك وعدّاء كل من يشكك في خطوات الخنق الإسرائيلي التدريجي حليفاً للإرهاب ! .
بالرغم من كل هذا الضجيج ، فهناك أساطير صنعها الإعلام الغربي تنهاوى

بفعل الخداع الإسرائيلي والدعم الأمريكي .
لا يمكن لعرفات مهما دعمه حلفاؤه الجدد أن ينكر أن منظمته فتح قد أصبحت جسداً بلا روح ، بعد أن أصبح الزعيم هو المنظمة ، وصارت اجتماعاتها معدة

(للصم) على كل اتفاق تذبح فيه فلسطين ، أو تقطع على أعتابه كرامتها أو أشلاؤها ... آخر اجتماعات اللجنة التنفيذية في تونس ، لم يكمل حتى النصاب المطلوب لتمرير اتفاق خطير مثل اتفاق طابا ، وبالرغم من

ذلك فقد مرت خطوات القيادة الفلسطينية الخارجية حتى عن أبسط القواعد الجماعية بسلام ، فليس من مصلحة إسرائيل وجوبها في الداخل والخارج أن يسلط الضوء على ممارسات عرفات الديكتاتورية في هذه المرحلة ؛ طالما أن المطلوب من السلطة الوطنية يتم وفق « روح الشراكة » بين اليهود وعرفات . كما لا يمكن لعرفات والقوى المتواطئة معه أن ترفع شعارها الإرهابي التقليدي : أن الذي توصلت إليه مع حكومة رابين هو أفضل الممكن ، وأنه ليس أمامها سوى الاستسلام لابتزاز أمريكا وإسرائيل .. لقد رفض عرفات قبل أن يندمج في شراكته السرية في أوصلو عرضاً مقدماً من حكومة إسحاق شامير في الجولة السابقة لمفاوضات واشنطن لمنح الفلسطينيين ما مساحته 63% من أراضي الضفة ، وتقاسم 30% من هذه الأراضي ، وضم إسرائيل للباقي (7%) من المساحة ، بينما قبل عرفات في اتفاه الأخير (سيء الذكر) أقل من ذلك بكثير حيث لاتسيطر السلطة العرفاتية إلا على 27% من مساحة الضفة ، إضافة إلى تنازل السلطة عن حقوق المياه التي ستصل إلى 26% من مياه الضفة ، والباقي يذهب للمستوطنات التي تحتاج إلى كميات تعادل ثلاثين مرة ما يحتاجه مواطنو الضفة ! ! ونلاحظ هنا : أن رفض عرفات للعرض الشاميري كان حراماً من منطلق أنه يتم عبر وفد المفاوضات برئاسة (حيدر عبد الشافي) ، بينما التخفيضات الهائلة التي أعطاه عرفات لرابين الهالك وبيريز المتحفز ، فهي حلال ؛ لأنها تمت عبر المحتل الفلسطيني الذي يصفه بعض الفلسطينيين « التيس المستعار » الذي يَعْقِدُ على المرأة من أجل التحايل على ضرورة زواجها ببعل جديد .. نعم شراكة حتى في أساليب اليهود وحيلهم (السبتية) التي يحسبون أنهم أذكاء ، وقد خابوا وخاب شريكهم ! ولا يمكن للزعيم وطلغمته وألتم الإعلامية الناطقة بالزور أن تخفي أن الضفة المحتلة قد أصبحت جزراً ومحميات « هنود حمر » فعلاً ؛ فقد قسمت المناطق إلى أ ، ب ، ج ، وقامت إسرائيل ببناء طرق التفافية حول هذه المناطق ، ويتطلب التنقل بين هذه المحميات

العرفاتية إلى تصريح خاص من « السادة الصهاينة » ، لاسيما وأن عرفات نفسه حتى الآن لا يستطيع أن يتنقل بين الأراضي المحررة إلا بعد الحصول على تصريح إسرائيلي . ولابد أن نذكر هنا أن قائد الشرطة الفلسطينية في أريحا (الرجوب) قد مُنع من الانتقال خارج أريحا خلال اشتراكه في المباحثات بالرغم من بلائه المشهود في محاربة معارضي الاتفاق وتعذيبهم حتى الموت (كما حصل لمواطن فلسطيني الأصل حاصل على الجنسية الأمريكية « .. إن إسرائيل تحب أن تذكر عملاءها الجدد أنهم تحت قدم جيش الدفاع وجنرالاته ! وأخيراً فإن من المؤكد أن الشعب الفلسطيني بعد هذا الاتفاق يمر بأسوأ مراحل التشرذم والانشقاق فبعد أن كانت المنظمة تفاخر بكونها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، نجد اليوم هذا الشعب وهو منقسم بفعل تحركات المنظمة العابثة وتفريطها في حقه حتى تكرست القطيعة بين فلسطيني الشتات والداخل ، لاسيما وأن الاتفاقات المتعددة لم تناقش موضوع أربعة ملايين فلسطيني خارج الضفة والقطاع مما جعلهم فريسة لنزوات القيادات العربية مثل القذافي وتجلياته ، أو تصريحات الوزير اللبناني (نقولا فتوش) الذي وصفهم بأنهم « زبالات بشرية » !! هكذا !! .

هل كان لأمثال العقيد المحدود العقل والمتناهي المفاجآت ، أو هذا « الفتوش » المنتفش بحقه النصراني أن يسوم هذا الشعب المطحون مزيداً من العذاب لو كان لديه قيادة تحترم نفسها أو تكتفٍ لشعبها شيئاً من الاحترام ؟ .

ليس هناك من أسطورة تروج هذه الأيام سوى المقولة السمجة : إن هذا وضع مؤقت ، وإن الاتفاقات النهائية هي التي ستحل القضايا الرئيسية : كموضوع القدس والمستوطنات ، ومصير فلسطيني الشتات .. إنها أسطورة أخرى ، بل الأسطورة الأخيرة في صندوق الأكاذيب والوعود المتلاشية التي ترفع أمام كل من يستغرب من هذا الانحدار والاستسلام والركوع لعجل صهيون ، لقد أشارت مجلة

(الإيكونمست) النافذة والواسعة الانتشار إلى أن فشل راين أو على
الأصح فشل
حزب العمل في الانتخابات المقبلة ووصول (ناتنياهو) للسلطة يهدد وضع
الاتفاق
النهائي بجعل الاتفاق الحالي هو الحد الوحيد الملزم للطرفين ، وهو احتمال
كبير في
حالة فشل الطرفين في التوصل إلى حل نهائي عام 1999م ، وهو أمر
متوقع في
ظل نكث يهود بعهودها ؛ مما يعني أن هذا الاتفاق الظالم سيكون اتفاقاً
نهائياً .
وهنا يجب أن ندخل قرار الكونجرس في هذا الإطار .
إن اعتراف أمريكا بالقدس عاصمة لإسرائيل وضرورة نقل السفارة
قبل تاريخ
مايو 1999م ، يعني أن الاتفاق المؤقت يترجم عن طريق القوة الأمريكية
والتنسيق
الصهيوني إلى واقع قائم على الأرض .. وتصريح الرئيس الأمريكي عبّر
ناطقه
وبعد يوم واحد جعل الموقف الأمريكي واضحاً كل الوضوح « إن الرئيس
الذي عبر
عن رأيه في ضرورة نقل السفارة الأمريكية إلى القدس خلال حملة
الرئاسة عام
1992م ، لم يغير رأيه الشخصي في الموضوع وأن اعتراضه يكمن في
توقيت
النقل » .
وهذا ما دفع منظمة النداء الصهيوني الموحد لإعطاء جائزتها السنوية
لكلينتون
بعد يوم واحد من هذا التصريح .
هنا نكتفي بتصريح الرئيس الفلسطيني عرفات الذي أعرب عن
استغرابه من
صدور قرار الكونجرس الأمريكي لتعارضه مع تعهدات كان قد حصل
عليها بأن
هذا الموضوع سيبحث في المرحلة النهائية للمفاوضات .
إذا كان استغراب عرفات صحيحاً .. وإن كنا نشك في ذلك فإننا
نستغرب نحن
مرتين ؛ مرة لتصديقه أن هناك مرحلة نهائية تشكل آخر الأوراق التي تستر
عورة
الاتفاق الشنيع ، ومرة أخرى حين يصر هذا الزعيم على اختيار الخيارات
الخاسرة
مرة تلو أخرى ... وها هو يختار أن يكون (لوكاس مانغولي) آخر
!

المسلمون والعالم مؤتمر التنمية الاقتصادية والوهم العربي

بقلم : د. محمد عبد الله الشباني

خلال الفترة ما بين 5 حتى 7 جمادى الآخرة لعام 1416هـ ، عُقد في عمان مؤتمر التنمية الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، ضمن مسلسل التسوية والتطبيع مع العدو اليهودي تحت الرعاية الأمريكية . وهذا المؤتمر امتداد لمؤتمر الدار البيضاء الذي عُقد في العام الماضي ، ويهدف هذا المؤتمر حسب ما أعلن عنه إلى توفير الآلية المالية والتنظيمية لإيجاد منظومة اقتصادية إقليمية يكون لدولة اليهود في فلسطين المحتلة الدور البارز والمؤثر فيها ، تتمثل هذه الآلية في إنشاء بنك إقليمي للتنمية إلى جانب إنشاء مجالس إقليمية أخرى ، كما أشار إلى ذلك وزير خارجية الولايات المتحدة (كريستوفر) ؛ حيث أشار في كلمته عند افتتاح هذه القمة إلى أن « القمة الحالية ستعمل على تأسيس هيئة إقليمية للسياسة والسفر ، كما أنها ستعمل على تأسيس مجلس إقليمي للتعريف بالاستثمارات الاقتصادية في المنطقة ، وتحقيق التعاون بين القطاع العام والقطاع الخاص ، والتعاون بين رجال الأعمال في العالم » .

إن القمة الاقتصادية التي عقدت في عمان إنما هي مدخل للاستيلاء على مصادر الثروة في العالم العربي ، وجعل هذه المنطقة مرتبهة للمرابين اليهود ؛ من خلال قيام المؤسسات البنكية اليهودية العالمية في أمريكا وأوروبا بإقراض هذا البنك الإقليمي الجديد الذي يتولى بدوره إقراض حكومات العالم العربي التي ترزح تحت ثقل الديون .

إن من أبرز ما أظهرته هذه القمة من العمل على تحقيق ذلك الهدف : ما تم الإعلان عنه من توقيع اتفاق بين وزير الطاقة الإسرائيلي ورئيس مجلس إدارة

شركة أترون الأمريكية « ريكا مارك » التي هي صاحبة امتياز استخراج الغاز في قطر ، وقد أشارت المصادر أن قيمة الصفقة تبلغ ثلاثة مليارات دولار ، تدفع منها إسرائيل فقط ثلاثمائة مليون دولار أما الباقي فلم يُشَرَّ إلى : كيفية سسداه ، ولكن يظهر أن التسديد سيتم خلال بيع منتجات إسرائيلية لدولة قطر ، كما أن مدة هذه الاتفاقية عشرين عاماً ، ويحق لإسرائيل توقيع صفقات لتزويدها الغاز لدول أخرى ، كما أشارت إلى ذلك صحيفة أحرونوت العبرية ^[1] . إن القراءة المتأنية للمشروعات المطروحة من جانب دولة اليهود في فلسطين المحتلة تجعل المتابع يدرك مدى الخبث اليهودي من ناحية والغفلة العربية من ناحية أخرى ، فقد ذكرت الصحافة الأمريكية أن ممثلي حكومة اليهود في فلسطين المحتلة أحضروا معهم 218 اقتراحاً لمشاريع اقتصادية ، بلغت قيمتها 8 ، 24 مليون دولار ، ومن ضمن هذه المشروعات المقترحة كما ذكرت الصحافة الإسرائيلية مشاريع قطاعات السياحة التي لها النصيب الأكبر ، وبلغ عددها 31 مشروعاً ، تتضمن إقامة : مشروع سياحي على شاطئ البحر الميت ، وآخر على شاطئ العقبة وآخر على البحر الأبيض المتوسط تحت اسم ريفيرا البحر الأبيض ^[2] ، كما أشارت مصادر صحفية إسرائيلية إلى أن رجال الأعمال الإسرائيليين سيسعون من خلال أعمال قمة عمان إلى إبرام عقود مع جهات أردنية لتنفيذ سلسلة من المشاريع الاستثمارية المشتركة ، ومن بين هذه المشاريع مشروع إقامة شبكة من مراكز التسويق في الأردن ، وغير ذلك من المشاريع التي تخدم الاقتصاد الإسرائيلي من حيث إمكانية غزو السوق الكبير في العالم العربي ، واستخدام الموارد الطبيعية والطاقة البشرية لخدمة اليهود من خلال السيطرة المالية والاقتصادية على مختلف القطاعات الإنتاجية في العالم العربي . إن قمة عمان الاقتصادية سيكون لها تأثير في جعل العالم العربي فريسة للهيمنة الأمريكية (النصرانية اليهودية) « ؛ من خلال تحويل الأردن إلى معبر

لتوسيع هيمنة الاقتصاد الإسرائيلي في المنطقة ، وجعل العلاقات المشتركة الأردنية والإسرائيلية والفلسطينية نواة لتكتل اقتصادي شرق أوسطي جديد ، يكون لدولة اليهود المركز القيادي في عمليات التخطيط التنموي ، حيث يتم فرض نمط إنتاجي محدد على كل دولة عربية ترغب في الانضواء تحت مظلة الشرق الأوسط الجديد ومجالسه الإقليمية ، كما أن من أهداف هذه القمة دعوى إعادة توزيع الثروة العربية بين العرب وإسرائيل ؛ بحيث تحصل إسرائيل على القسم الأكبر من هذه الثروة ، من خلال تقديم المال العربي المودع في البنوك اليهودية العالمية كقروض لمختلف المشاريع وقيام الشركات اليهودية بها ، سواء ما كانت منها متممة لدولة اليهود ، أو ما كانت منتسبة لدول أوروبا وأمريكا ، بجانب هذا الهدف فإن من الأهداف الأخرى التي تسعى إليها هذه القمة ؛ تحقيق حلم دولة اليهود الكبرى وهو : تفتيت مؤسسات العمل العربي المشترك القائمة حالياً ، التي مع ضعفها تمثل نوعاً من التكتل العربي تجاه التكتلات الإقليمية العالمية . وستكون نتائج هذه القمة سرطان يسري في جسم الأمة العربية ومن ثم الإسلامية ؛ لينتشر فيها الفساد والضعف والتبعية . والعزاء في قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** [الأنفال : 36] . وقوله تعالى : **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** [الأنفال : 30] .

- (1) نشرة قدس برس التي تصدر من لندن .
(2) الحياة عدد 11940 يوم 31/10/1995 م .

المسلمون والعالم الانتخابات الجزائرية حل .. أم .. تأزيم ؟ !

بقلم : د .يوسف الصغير

في غمرة الزفة التي أعدت لإجراء الانتخابات الجزائرية بالرغم من مقاطعة
جل الأحزاب المعترف بها رسمياً لها ... هناك سؤال مهم تنبغي الإجابة
عليه ...
لماذا حرص الأمين زروال على إجراء الانتخابات الرئاسية ؛ وما هي
المناورات
التي حصلت حتى الآن ؟ .. إن مما لاشك فيه هو أن آخر شيء يفكر فيه
النظام
الجزائري هو معرفة رأي الشعب ، أو النزول عند رغبته ، فما تعيشه البلاد
الآن
هو من آثار رفض اختيار الشعب ، بل والتركيز في القمع على من
اختارهم
الناس ... فيا عجب كيف أصبح من كان غير ناضج في اختيار ممثليه
ناضجا في اختيار الرئيس ؟ ! .
ومن الواضح أن هذه المناورة يقصد بها حل مشكلة داخل النظام ،
ولا تمثل أي
تحسن بالنسبة لما يعيشه البلد ، بل إن القمع الأمني قد تصاعد بصورة
كبيرة بدعوى
تهيئة الأجواء لإجراء الانتخابات بشفافية !

إن النظام يعاني في تعامله مع الوضع الحالي من عقدتين :

الأولى : عقدة عدم الشرعية : فهذا النظام يفتقر إليها ؛ فهو نظام
انقلابي ؛
حينما قام ضباط (الفرانكفونية) في الجيش بانقلابهم عن طريق عزل
الرئيس
الشاذلي بن جديد ؛ والمشكلة ليست هنا ، فأكثر الانقلابات التي يحل
فيها طاعية
مكان آخر قد لاتجد من الناس رد فعل إلا الفرح بالتخلص من الطاعية
الحالي ، مع
ظنهم أن الجديد لا يختلف عن سلفه ، ولكن المشكلة أن الانقلاب ليس
موجهاً ضد
الحاكم بل ضد اختيار الشعب نفسه ، أي إن الانقلاب ضد رغبته التي أبدتها
؛ ولهذا
فبدلاً من اعتقال الرئيس السابق وأتباعه ، ومحاكمتهم ، وتنفيذ الأحكام
المناسبة بهم ، فإن هذه الإجراءات وجهت ضد الناس ، فقامت قوات
النظام الجديد كما هو

معروف بحملة اعتقالات وتعذيب وإعدامات ضد من يُعْتَقَدُ أن الشعب اختارهم ، ولهذا فقد كانت المواجهة قاسية ؛ حيث لم يتركوا للشباب فرصة حتى للتفكير ، فهم إما بين يدي الجلاد ، أو في المعتقل ، أو في المنزل ينتظرون الاعتقال ، أو معتصمين بالجبال . وإذا كانت جبهة الإنقاذ ترفع شعار إعادة المسار الانتخابي حلاً للمشكلة من وجهة نظرها ، فما هو الشعار الذي يمكن أن يرفعه النظام الحالي ؟ !

إنهم لم يجدوا شعاراً لهم إلا من قبيل ادعاء الحفاظ على هبة الدولة ، أو مكتسبات الشعب ! وحماية الدستور ، ومما هو معروف أن الذين يحكمون حالياً هم الذين داسوا على هبة الدولة بعزل رئيس الدولة ، وهم الذين لعبوا بالدستور ، حيث إن البلد يحكم بقانون الحصار (الطوارئ) ، أما الشعب المسكين فما هي مكتسباته التي يريدون الحفاظ عليها ، هل هي نسبة البطالة التي تعدت 42% ، أم هي شبابه المثقف الذين ملئت بهم المعتقلات الصحراوية أم ، أم ، نعم إنهم يريدون أن تكون هناك انتخابات معتنى بطبخها حتى يواصل النظام حربه ضد الإسلاميين رافعاً شعار : حماية اختيار الشعب !

الثانية : عقدة الضعف : فالرئيس زروال كان لواءً متقاعداً ، ثم أصبح رئيساً للدولة عن طريق التعيين من قبل المجلس الأعلى للأمن ، أو بصورة أخرى عن طريق اللواء خالد نزار . وكما هي العادة فهو في البداية يستند إلى من عينوه وينفذ رغباتهم ، ولكنه مع الزمن صدّق أنه رئيس ، وبالتالي فهو يحاول أن يستقل عمن جاؤوا به ، ويبحث عن غطاء آخر ، فمن بداية رئاسته كان يلحظ في خطابه الدعوة إلى الحوار والمصالحة ، بينما الواقع هو أن وتيرة القمع من قبل النظام كانت ترتفع بصورة طردية مع خطابه التصالحي ، مما جعل الكل يتحدث عنه : أنه محدود الصلاحيات ، وأنه يمثل أحد الأطراف فحسب .

مظاهر تلميع الانتخابات :

لهذا فإن الرئيس يحرص على أن تجرى عملية انتخابات : يتم فيها انتخابه بأكثرية مطلقة : وبهذا يكسب شيئاً من الشرعية خارجياً ، وشيئاً من القوة داخلياً أمام أطراف النظام الأخرى ، حينما يكون الرئيس المنتخب وليس المعين . أما من ناحية عملية الانتخابات الرئاسية التي من الممكن تسميتها عملية إعادة تسمية زروال ، فإنه يلاحظ فيها الحرص الشديد على ضبط نتائجها ، وذلك من خلال الآتي :

1- تهوين الصعوبات العملية مثل الأوضاع الأمنية المتدهورة ، وتلف كثير من القوائم الانتخابية ، وحرص جميع أطراف المعارضة على إفشال خطة الحكومة ، بل ويصر على قدرته على إجراء انتخابات حرة في هذه الظروف المتفجرة !

2- الحرص على مشاركة بعض الشخصيات لإضفاء شيء من المصداقية ؛

إذ بلغ عدد المتقدمين حوالي 40 شخصاً ، وقد اغتيل أحدهم ولم يلتفت له أحد ، وقام زروال بمناورة مكشوفة حينما أظهر التردد في ترشيح نفسه إلى آخر لحظة ، مع العلم أن الأحزاب الكبيرة لم تشارك ، بل قاطعت هذه الانتخابات ، ولهذا فإن بعض الشخصيات اشترط من أجل أن يرشح نفسه أن يعطيه النظام عدداً من الأصوات يبيض بها ماء وجهه .

3- كما هي العادة المتبعة في بلاد المسلمين التي تدعي الديمقراطية ، فإن كل حزب حاكم يقوم بتفصيل النظام الانتخابي بما يلائم وضعه ، وأحياناً يكون النظام مفصلاً من أجل محاربة أحد الأحزاب ، وحيث إنه في الجزائر لا يوجد أحزاب يخشى منها ، وترغب في المشاركة ، فإن النظام الانتخابي المعدل تم تفصيله من أجل إبعاد أشخاص بعينهم ، ومن التعديلات :

أ- اشتراط الحصول على 75 ألف توقيع من 25 ولاية مع العلم أنه في الانتخابات البرلمانية السابقة كان يشترط 500 توقيع فقط .

ب- ألا يكون متزوجاً من غير جزائرية من أجل إبعاد بعض الشخصيات التي لها شعبية مثل الطالب الإبراهيمي حيث إنه متزوج من لبنانية .

4- محاولة الحصول على تزكية للانتخابات من بعض الجهات الخارجية .
ومن أجل ذلك فقد دبت الحياة في الأموات مثل الجامعة العربية التي امتدح أمينها العام هدوء الأوضاع في الجزائر ، وسيطرة النظام ، ووعد بإرسال 40 مندوباً إلى 50 مندوباً للتحقق من نزاهة الانتخابات !
نعم 40 إلى 50 مندوباً لمراقبة أكثر من ثلاثين ألف لجنة انتخابية وكما يقول (الشيخ جاب الله) زعيم حزب النهضة ! إنهم سيقومون بعملهم من الفنادق ذات الخمس نجوم ، أما الميت الآخر فهو منظمة الوحدة الإفريقية التي هي الأخرى أبدت استعدادها لوضع تجربتها ، أما الأمم المتحدة فلم تقرر بعد مشاركتها . أما فرنسا فإنها تلمح باعترافها بنتائج الانتخابات ، مع إقرارها أنها لن تكون في مستوى الانتخابات في فرنسا أو بريطانيا . أقول وعلى أي حال فإن انتخابات الجزائر أفضل شكلاً من انتخابات الدول الديمقراطية الأخرى في العالم العربي ؛ فمثلاً في تونس لايسمح لغير الرئيس بالترشيح ولكن كما حصل فعلاً فإن منافس الرئيس يتعرض للاعتقال ، أما في دولة أخرى فإنه يسمح بالمنافسة ولكن لم يجرؤ أحد على خوض التجربة ، وفي بقية الدول فإنه يكتفى بالتنافس على مقعد واحد ، والمرشح الوحيد هو الرئيس . ولهذا نجد أن الصحافة العلمانية تأخذ على النظام الجزائري أنه موغل في الديمقراطية أكثر مما يجب ، حيث يكررون بلا خجل القول بخطورة التجربة الجزائرية مع نجاح التجارب الأخرى ، وبخاصة التونسية والمصرية .

هؤلاء هم المرشحون :

وأخيراً أعلن النظام أسماء الفائزين والذين يحق لهم التنافس على منصب الرئيس وهم :
الأمين زروال الرئيس الحالي .
الشيخ محفوظ نحاح رئيس حركة المجتمع الإسلامي (حماس) .
سعيد سعدي رئيس التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية (حزب البربر

الفرنكفوني) .
نور الدين بوكروح رئيس حزب التجديد الجزائري .
أما مرشح السلطة الثاني وهو رضا مالك رئيس الوزراء السابق ،
والمحسوب
على التيار الاستئصالي ، فقد أسقط اسمه على الرغم من احتجاجه
بدعوى حصوله
على أكثر من 76 ألف صوت ، أما المرشحون الثاني والثالث والرابع فإنهم
تجاوزوا
سقف الـ 75 ألف صوت بقليل ، والذي يبدو لي أن الرئيس يخاف
حتى من
الفزاعات التي وضعها بنفسه ، فهو لم يسمح بدخول رضا مالك ؛ لأنه
يعرف أن له
تأييداً في داخل النظام ولا يمكن السماح بمرشحين للنظام ؛ لأن هذا
يمكن أن يؤدي
إلى انشقاكات وصراعات عنيفة ، وثانياً : أنه أعطى لنفسه أكثر من
مليون ومئتي
ألف صوت ، أي حوالي عشرين ضعف مما أعطى كل واحد من الصور
الثلاث ،
وهذا الرقم الكبير يدل على حرص الرئيس على ضمان الفوز ، وأيضاً
يدل على
مقدار مدى نزاهة الانتخابات !! .

وفي الختام :

لايفوتني أن أبنه إخواني على أن الموقف الفرنسي الذي يثني على
النظام ،
ويسعى إلى الحيلولة بين المسلمين وإقامة شرع الله في بلادهم لم يتغير
، بل إن في
تصريحات الرئيس الفرنسي (شيراك) الأخيرة : أنه لايفرق بين المرشحين
الأربعة ، وأن المساعدة المعتادة التي تبلغ سنوياً 5 إلى 6 بليون فرنك
التي تقدم إلى نظام
الجزائر القائم ستربط بحصول تقدم في المسار الديمقراطي ؛ مما يعني
الاعتراف
بشرعية الانتخابات وبنيتها ، وأن فرنسا ستستمر في الدعم ولكن
بمسوغ أقوى
وهو دعم التحسن في حال الديمقراطية في الجزائر ، واللغة واضحة ؛
فإن تراجع
فرنسا عن لقاء شيراك/ زروال تم بدعوى عدم التأثير على الانتخابات
بدعم مرشح
دون آخر ؛ وفي الوقت نفسه كان الإلغاء عن طريق صنيعتهم زروال ،
بطريقة
يرجون فيها أن ترتفع أسهمه الديمقراطية قبل إعلان زروال الانتخابات
إنها .

محاولات للتغطية على المأساة التي يعيشها الشعب المسلم في الجزائر
الواقع تحت
نير السلطة الحاكمة بأمرها .
وكلمة أخيرة للإخوة في الجزائر : لاتستعجلوا الحكم بأن فرنسا قد
غيرت
موقفها ، ولكنها قد تكون غيرت تكتيكاتها تحت ضغط مايجري داخل
فرنسا ،
وخوفاً من تفاقم الوضع بين الفرنسيين والجالية الجزائرية هناك ، حيث إن
التمييز
الذي يتصاعد الآن ، يؤدي إلى بروز تيار مؤيد لتحرير الجزائر مما تبقى من
النفوذ
الفرنسي الذي يحرك الدمى في مسرح الوضع الجزائري من وراء
الكواليس .
لك الله يا جزائر المليون شهيد ، وفك الله أسرك من أعدائك أعداء
دينك .

المسلمون والعالم الأمم المتحدة .. والأمم غير المتحدة !! (1)

بقلم : عبد العزيز كامل

جاء في ديباجة ميثاق هيئة الأمم المتحدة التي تلخص أبرز مبادئها وأهدافها :
« نحن شعوب الأمم المتحدة قد قطعنا على أنفسنا عهداً أن نجنب الأجيال القادمة
ويلات الحرب ، وأن نعمل على إيجاد تعاون اقتصادي واجتماعي بين دول العالم ،
بأسلوب يرتفع بمستويات الحياة الكريمة للجميع ، ويحفظ السلم للجميع ، ويفضّ
المنازعات بالوسائل السلمية » .
وبعد خمسين عاماً ، أين هي الأمم المتحدة من هذا العهد الذي قطعته على
نفسها ؟ وأين الدول الكبرى التي شكلت هذه المنظمة ؛ لتقود بها العالم بعد انتصارها
في الحرب العالمية الثانية ، التي كبدت البشرية أكثر من عشرين مليوناً من القتلى ؟
إنه بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية ، وتحديدًا من عام 1945م إلى 1989م
نشبت 138 حرباً نتج عنها خسائر بشرية قدرت بنحو 23 مليون نسمة ، واستهلكت
في الفترة من سنة 1970م وحتى 1989م أسلحة تقليدية قدرت بنحو 388 مليار
دولار ، والأمم المتحدة تقف عاجزة أحياناً ومتعاجزة أحياناً أخرى في مواجهة
الخراب الدولي ، الذي استخدم فيه الفيتو نحو 79 مرة في مجلس الأمن .
الدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية صاغت بنود ونظم المنظمة
الدولية لكي تحفظ بها مكاسبها التي خرجت بها من الحرب ، حيث قَسَمَتْهُ إلى
مناطق نفوذ ، وإقطاعيات احتكار واستغلال ، أطلق عليه أولاً (الاستعمار) ،
ثم تغير الاسم إلى (الاستقلال) .
الدول التي سلمت نفسها بنفسها زمام ولاية أمر العالم ، وأعطت لنفسها حق
الاعتراض والنقض لأي قرار وأي إرادة للشعوب منفردة أو مجتمعة ، هذه الدول

وعدت أيضاً في ديباجة ميثاق الأمم المتحدة برفع مستويات الحياة الكريمة للجميع ،

فماذا عن هذا البند بعد خمسين عاماً من إنشاء هيئة الأمم المتحدة ؟
إن التقارير تشير إلى أن عدد الفقراء في الدول النامية قد زاد في

العشرين عاماً الماضية بنسبة 40% ، وذلك يعد مؤشراً على فشل معظم برامج الإصلاحات والمساعدات التي تبنتها هيئة الأمم المتحدة من خلال أجهزتها الاقتصادية المحكومة

بتوجهات الدولة الغنية ، ويشير تقرير الأمم المتحدة نفسها : أن أكثر من نصف

سكان 114 دولة نامية يبلغ عددهم 4 مليارات نسمة يعيشون في مناطق فقيرة ، وأن

ملياراً منهم يعيشون تحت خط الفقر ، وأن ما بين 15 20 مليون نسمة يموتون كل

عام بسبب المجاعات وسوء التغذية .

إن هذه الأمم الضعيفة والفقيرة لم توضع في هذا المأزق ، لأن هذا قدرها

فحسب ، أو لأن هذه مقدراتها وكفى ، ولكن لأن هناك أمم أخرى قوية وغنية تريد

لها أن تظل هكذا في الفقر والضعف ، إضافة إلى التخلف والتفرق ؛ لكي يظلّ

القوي قوياً وغنياً ، ويزداد غنى وقوة .

إن الأمم القوية (المتحدة) قد رسمت فيما يبدو خطوطاً عربية لمناطق نفوذها

التقريبية

، وتركت بقية الأمم الضعيفة لتلقى مصيرها حسب نظرية (البقاء للأصلح)

، لقد عبّر (أمين) الأمم المتحدة عن هذا المعنى أكثر من مرة في اعتراف صريح ،

وقال في إحدى رحلاته إلى إفريقيا : « إن العالم المتطور انسحب إلى مواقعه

مستكيناً إلى شعور بالقرف ، تاركاً بقية دول العالم النامي تواجه قدرها »

وكثيراً ما شكّا إعياء الدول المانحة ، وتبرمها بالنفقات على الدول الفقيرة !

ولكن هذه الشكوى تصاغ في أحيان أخرى على لسان بطرس بمعنى مناقض ، ففي

مقابلة بمكتبة في الدور الثامن والثلاثين بمبنى الأمم المتحدة ، قال : إن الأمم المتحدة

تستدين الأموال من الدول الفقيرة ؛ لأن الدول الغنية لاتدفع حصصها ، وأضاف أنه

حاول جاهداً الحصول على مساعدات ذات أمد قصير مثل : إصدار صكوك التأمين
دون طائل !

أين إذن تذهب ثروات الأرض ؟ إن عدد الدول التي تعاني من أزمة الديون
في العالم يبلغ نحو 123 دولة ، من ضمن 180 دولة عضو في الأمم المتحدة ،
ويتعدى مجمل الديون الخارجية لتلك الدول المدينة نحو 1500 مليار دولار
في سنة 1994م .

وتتهم الدول المدينة المؤسسات المالية التابعة للأمم المتحدة
بالتسبب في تكبيل اقتصادها بفوائد الديون العالية .
فماذا تفعل الأمم الضعيفة والفقيرة ، مع تلك الأمم الغنية و
(المتحدة) ؟ ! إن الأمم الضعيفة تشكل أربعة أخماس سكان الأرض تقريباً ، ولكنها
تستهلك خمس الاستهلاك العالمي تقريباً ، أما خمس سكان العالم من دول الشمال ،
فإنه يحوز أربعة أخماس الإنتاج والاستهلاك العالمي ! ولتفرح الأمم الضعيفة بعد
ذلك بوهم (الاستقلال) تحت راية (الأمم المتحدة) وَلِتَقُمْ شعوبها الموائد على بساطها
الأزرق ، وسط عزف الأناشيد القومية الحماسية وخفق البيارق الملونة ،
والاستعراضات العسكرية .

صحيح أن هناك بعض النجاحات للأمم المتحدة ، حققتها على الصعيد
الدولي لكن أكثرها يصب في المصلحة المباشرة للدول الكبرى والقوية والغنية ،
وهناك

بعض نجاحات في العالم النامي ، من قبيل : إجراء انتخابات
ديمقراطية في
موزمبيق ، أو إرساء قواعد مرحلة انتقالية في ناميبيا ، أو إجراء عملية بناء
لمجتمع

مدني سياسي في السلفادور ، أو تجميد الصراع بين اليونان وتركيا ، أو
إعادة بناء
كمبوديا ، أو إنهاء الحرب الأهلية في أنجولا ، أو وقف انتشار النزاع في
رواندا ...

إلخ المشكلات التي كان ينبغي التخلص منها ؛ لأنها تسبب نوعاً من
الصراع
المؤرق إعلامياً لمشاعر المنظمة الدولية .

إن هناك حقيقة كبيرة أبرزتها الأعوام الخمسون الماضية من عمر المنظمة الدولية وهي : أن هناك (عالم حر) يتحكم ويستعبد عالمًا (غيره) ، وهناك (أمم متحدة) تتحكم في مصائر أمم (غير متحدة) !
إن العالم الحر يتحد ، في صيغ كثيرة من صيغ الاتحاد السياسي أو الاقتصادي أو العسكري ، لأن الاتحاد يزيده قوة إلى قوته ، بينما على العالم غير الحر أن يظل في تفرق واختلاف وتنازع حتى يظل ضعيفاً ، بل ليزداد ضعفاً على مرّ الأيام ..
العالم الحر .. يتفرغ للتقدم والبناء والعمران ورفاهية شعوبه ، بينما على العالم غير الحر أن ينهمك في حل المشكلات والأزمات والعقبات السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية أو الحدودية التي تلقى إليه ، أو يلقاها في حين .
إن على العالم الحر أن ينعم بالحرية والديمقراطية ، بينما على العالم غير الحر أن يتعثر دائماً في شباك الديكتاتورية والقمع والتسلط من الأنظمة المستعبدة عادة للعالم الحر .
هذا هو الواقع الذي انحسر عنه طوفان الحرب العالمية الثانية . وعلى الأمم غير المتحدة أو النائمة عفواً النامية أن تتنازل دائماً وعن رضاً عن جُل ثرواتها ومقدراتها إن وجدت مقابل ثمن بخس دولارات معدودة .
نعم .. إنه الواقع الذي انحسر عنه طوفان الحرب العالمية الثانية ، التي ولدت هيئة الأمم المتحدة ، فهي نتيجة من نتائج الحرب التي انتهت واقعياً بانتصار الولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأولى ؛ حيث كان العقل الأمريكي الاحتكاري منهمكاً في ترتيب أوضاع العالم لمرحلة مابعد الحرب ، ولم تكن هيئة الأمم المتحدة إلا واحدة من ترتيباته الكبرى ، كانت الحرب في حقيقتها صراعاً مسلحاً شاملاً بين أطراف رأس المال الدولي ، وكانت أمم المستعمرات التي تشكل الأكثرية الساحقة من سكان العالم متعطشة للتحرر من جيوش الاستعمار القديم ، وقد رأى أقطاب

(العالم الحر) وعلى رأسهم (أمريكا) في ذلك الاندفاع الأممي نحو
الاستقلال والتحرر
فرصة مناسبة لتعميم أسلوبها الجديد في الاستعمار الحديث القائم على
النهب والسلب
والاستعباد ، ليس بواسطة الجيوش والاحتلال المباشر ، ولكن وعلى
الطريقة
اليهودية بواسطة المصارف والقروض والفوائد ، وبواسطة المستشارين ،
وبواسطة
الاستخبارات وأيضاً بواسطة القوى المحلية العسكرية أو المدنية في
البلدان
المستهدفة ذاتها .. كانت للولايات المتحدة مصلحة في كنس المستعمرين
الأوروبيين
من المستعمرات ، لأنها تعيق انتشار أسلوبها الجديد الذي يقوم
على إيهام
المستعمرات البائسة أنها مستقلة .
ولا بأس بعد ذلك من تنظيم العلاقات بين أطراف رأس المال
الدولي
المنتصرة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، وهذا ما تفسره لنا حكاية
حق النقض
(الفيثو) التي تتميز بها حكومات الاحتكارات الدولية الرئيسية أما الدول
الأخرى أو
الحكومات الأخرى في الأمم غير المتحدة ، فهي محكومة بعلاقات دولية
ظالمة
ومحكمة ، حيث لا تستطيع تغيير أوضاعها البائسة إلا برضاً من المنظومة
الدولية
الحاكمة المتحكمة .
فهناك خطوط ممنوع عليها تجاوزها ، وإلا وقعت تحت طائلة أقسى
العقوبات ، خطوط سياسية واقتصادية وجغرافية وتقنية بل .. وثقافية ،
خطوط تتحكم في
جميع مكونات حياتها ، ومع هذا أعطوها حق العضوية في هيئة (الأمم
المتحدة) ؛
في حين أن هذه العضوية مجرد (هيئة) للأمم هي في حقيقتها أمم
مستذلة وليست
مستقلة لأنها غير متحدة .
والمشكلة الكبرى : أن الأغلبية العظمى من الأمم (غير المتحدة)
لايشكلها إلا
العالم النامي ، الذي يضم في عضويته شبه الدائمة أقطار العالم الإسلامي
! والذين
يقع العرب منهم موقع القلب في الجسد في أدق مواضع العالم حساسية ،
في حوض
البحر الأبيض المتوسط .

فالعرب كتلة بشرية ضخمة ، تفوق في ضخامتها وفي تجانسها جميع
الكتل
البشرية الأخرى في هذا الحوض ، بما في ذلك الإنجليون البروستانت
الذين
يحكمون الولايات المتحدة فعلياً ، والذين لايتجاوز تعدادهم ثمانين مليوناً ،
والعرب
يفوقون تعداد الروس الذين لايتجاوزن مئة وعشرين مليوناً ، هؤلاء العرب
الذين
سيصل تعدادهم إلى نصف مليار نسمة خلال العقدين القادمين إن شاء
الله وسط أمة
من المسلمين تبلغ ربع سكان العالم !!
ماذا فعلت (الأمم المتحدة) الغربية مع الأمم (غير المتحدة) خاصة
العربية منها
والإسلامية ؟
إن لهذه المسألة تفصيلات وتفرعات .. ولهذا فإن للحديث بقية ..
والله
المستعان .

نص شعري يقظة الانحدار

شعر : مشيب بن أحمد نبت

هَاتَتْ النَفْسُ وَمَنْ يَرْضَى يَهْنُ
يَسْأَلُ التَّارِيخُ مَا هَذَا ؟ لِمَنْ ؟
وَلِسَانِي شَلَّ عِنْدَكَ رِ الْوَطَنُ
أَنْ أَرَى كُلَّ قَبِيحٍ لِي حَسَنُ
أَفْقَدْتُ الْوَعْدَ أَمْ عَقْلِي جُنْ ؟
لَمِحَةَ الطَّرْفِ أَعْنَى أَلْفَ قَنْ
مُرَّقَتْ أَشْلَاؤُهُ بَيْنَ الْمَحْنِ
يَمْنِي فِي الشَّامِ شَامِي فِي الْيَمْنِ
أَبْنَى سَهْلًا وَلَمْ أَطْوِي حَزْنَ
وَالْمُنَى تَبْرُقُ لِي وَسْطَ الرَّمْنِ
تُشْرِقُ الشَّمْسُ قَلِيلِي مَا سَكَنُ
كُلَّ مَا أُمْلِكُ قَبْرًا وَكَفَنُ
بِيعَ فِيهِ الْمَجْدُ مِنْ دُونِ ثَمَنِ
أَبْقَطَ الْعَافِي وَتَادَى بِالسَّنَنِ
صَفَعَهُ التَّارِيخُ فِي وَجْهِ الْعَقَنِ
تَوَرَّهَ الْحَقُّ إِذَا مَا اللَّيْلُ جَرَنُ
عَرَّدَ الْقُمْرِي لَهَا لَحْنًا وَرَنُ

رَحْلُهُ الْعُمْرُ تَرَدَّدَ وَشَجَنُ
تَرَسَّمُ الْأَيَّامُ مِنِّي لَوْحَةً
خُطِفَتْ عَيْنِي وَسَمْعِي مُفْقَلُ
لَيْسَ مِنْ خُسْنٍ وَلَكِنْ مُخَيَّرُ
يَدْخُلُ الْمُجْرِمُ بَيْتِي صَاحِكًا
ثُرْتُ فِي لِحْظَةٍ جَرْمَانِي وَفِي
كُنْتُ جَسَمًا مِلءٌ كَفِيهِ غَنَى
مَنْ يَرَى حَالِي وَتَارِيخِي يَرَى
دَوْخَتَنِي مُعْصِرَاتِ الْعَصْرِ لَمْ
رَمْنِي قَلْبٌ فِي قَلْبِي الْأَسَى
أَهْ مِنْ حَالِي وَمِنْ أَهْ أَلَا
كَيْفَ بُنِنِي مِنْ عِظَامِي قَلْعَهُ
صَفْحُهُ الدَّلَّ بَدَتْ فِي زَمَنِ
وَأَنْبَرَى صَوْتُ لَهُ رَجْعُ السَّمَاءِ
طَلَوْتَ الْأَيَّامُ أَيَّامًا بِهَا
تَمْتَمَاتُ الدَّهْرِ فِي أُعْطَافِهِ
رُومَرُهُ مَا أَطْرَقَتْ لَهُوًّا وَمَا

في دائرة الضوء
فقه الصحابة (رضي الله عنهم)
في الرد على المخالف

بقلم : عبد العزيز آل عبد اللطيف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة
للعالمين نبينا
محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين .
وبعد : فالرد على المخالف والذب عن دين الله (تعالى) من أفضل
الجهاد في
سبيل الله ، ففي هذا الجهاد إظهار الحق ودحض المفتريات وكشف
الشبهات ، كما
أن فيه النصح للمسلمين والإشفاق عليهم .
ولما قيل للإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) : الرجل يصوم ويصلي
ويعتكف
أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع ؟ فقال : إذا قام وصلى واعتكف فإنما
هو لنفسه ،
وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين ، هذا أفضل [1] .
وقال يحيى بن يحيى النيسابوري (رحمه الله) : الذبّ عن السنة
أفضل من
الجهاد في سبيل الله » [2] .
ولما كان الصحابة (رضي الله عنهم) أعمق هذه الأمة علماً ، وأكمل
معرفة
بالخير والشر ، وأتم الناس فقهاً لمراتب الأعمال الصالحة ، فلقد كانت
لهم الجهود
المباركة والمسااعي المحمودّة في مجاهدة المبتدعة والدفاع عن السنة ،
يقول شيخ
الإسلام ابن تيمية : « كان الصحابة (رضي الله عنهم) أعظم إيماناً
وجهاداً ممن
بعدهم ، لكمال معرفتهم بالخير والشر ، وكمال محبتهم للخير وبغضهم
للشر ؛ لما
علموه من حسن حال الإسلام والإيمان والعمل الصالح ، وقبح حال الكفر
والمعاصي » إلى أن قال : « وكذلك من دخل مع أهل البدع والفجور ،
ثم بين الله له الحق
وتاب عليه توبةً نصوحاً ، ورزقه الجهاد في سبيل الله ، فقد يكون بيانه
لحالهم ،
وهجره لمساويهم وجهاده لهم أعظم من غيره ، قال نعيم بن حماد
الخزاعي وكان
شديداً على الجهمية : « أنا شديد عليهم ؛ لأنني كنت منهم .. » [3] .
ومن جهودهم الظاهرة في هذا المجال ما فعله الفاروق عمر (رضي
الله عنه)

تجاه صبيغ لَمَّا خاض في المتشابه حيث ضربه ونفاه .. وحرق علي
(رضي الله
عنه) الغلاة القائلين بإلهيته ، وجلد من فضله على الشيخين أبي بكر وعمر
(رضي
الله عنهما) حد المفترى ، وردّ عبد الله بن عمر وابن عباس وجابر بن
عبد الله
(رضي الله عنهم) على الخوارج والقدرية .. كما حذر عموم الصحابة من
الابتداع
والإحداث في دين الله (تعالى) .
ومن خلال نظرات يسيرة في تلك الجهود نلمس جملة أمور ،
منها :
تمام الاتباع وكمال التأسى برسول الله في الردّ على المخالف ،
ودليل ذلك
حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه « أن رسول الله-
صلى الله
عليه وسلم- خرج ذات يوم ، والناس يتكلمون في القدر ، فكأنما تفقأ في
وجهه حب
الرمان من الغضب ، فقال : **مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ؟** بهذا
هلك من
كان قبلكم ، يقول ابن عمرو : فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول
الله-صلى الله
عليه وسلم- لم أشهده بما غبطت بذلك المجلس أني لم أشهده « [4] .
تأسى عبد الله
بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) برسول الله -صلى الله عليه وسلم-
في ذلك ، فلما بلغه حال أولئك القدرية النفاة ، غضب أشد الغضب ،
حتى قال الراوي :
حتى وددت أني لم أكن سألته [5] .
ولما أخبر ابن عباس (رضي الله عنهما) عن رجل يكذب بالقدر ،
قال :
دلوني عليه وهو يومئذ أعمى فقالوا له : ما تصنع به ؟ فقال : « والذي
نفسي بيده
لئن استمكننت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه ، ولئن وقعت رقبتة بيدي
لأدقنّها » [6] .
أن الصحابة رضي الله عنهم يَجْمَعُونَ في ردهم على المخالف بين
العلم بالحق
والعمل به ، وبين الرحمة بالخلق والإشفاق عليهم ، والرد على المخالف
لا يكون
عملاً صالحاً مقبولاً إلا إذا أُريد به بيان الحق وإظهاره ، ورحمة الخلق
وهدايتهم .
فهذا أبو أمامة الباهلي (رضي الله عنه) يقول الحق ويرحم الخلق :
فإنه لما

رأي سبعين رأساً من الخوارج وقد جرت تلك الرؤوس ونصبت على درج دمشق ،
 فقال (رضي الله عنه) إعلماً بالحق : سبحان الله ، ما يصنع الشيطان
 ببني آدم !
 كلاب جهنم ، شر قتلى تحت ظل السماء .
 ثم قال أبو أمامة لصاحبه : إنك بأرض هم بها كثير ، فأعاذك الله
 منهم ، ثم
 بكى قائلاً : بكيت رحمة لهم حين رأيتهم كانوا من أهل الإسلام [7] .
 يتجلى من خلال ردّ الصحابة على المخالف وحدة العقيدة ، فقولهم
 في هذا
 الباب قول واحد لفظاً ومعنى ، فلا ترى بينهم اختلافاً ، وخير مثال على ذلك
 مارواه
 ابن الديلمى قائلاً : أتيت أبيّ بن كعب ، فقلت : أبا المنذر ، فإنه وقع في
 قلبي شيء
 من هذا القدر ، فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه عني ، فقال : إن الله (عز
 وجل) لو
 عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت
 رحمته
 خيراً لهم من أعمالهم ، لو كان لك مثل جبل أحد ذهباً أنفقته في سبيل
 الله ، ما قبله
 الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما
 أخطأك لم
 يكن ليصيبك ، وإنك إن مت على غير هذا دخلت النار ، ولا عليك أن تأتي
 عبد الله
 بن مسعود فتسأله ، فأتيت عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) فسألته ،
 فقال مثل
 ذلك ، ثم قال ابن مسعود : ولا عليك أن تأتي أخي حذيفة بن اليمان
 فتسأله ، فأتيت
 حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) فسألته ، فقال مثل ذلك ، قال : قات زيد
 بن ثابت ، فأتيت زيد بن ثابت ، فقال مثل ذلك [8] .
 يظهر في ردود الصحابة (رضي الله عنهم) على المخالفين عمق علم
 الصحابة ، فيقول الصحابي الكلمة أو الكلمتين التي تتضمن أنواعاً من
 الفوائد والعلوم ، وترى
 في ردهم شمولية واعتدالاً في الرد فعندما يقول الفاروق عمر (رضي الله
 عنه) عن
 النصارى : « أهينوهم ، ولا تظلموهم ؛ فلقد سبوا الله مسباً ما سبّه إياها
 أحد من
 البشر » [9] .
 فقول عمر : « أهينوهم » : من مقتضى البراءة من الكافرين ، كما
 قال
 (تعالى) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ [المائدة :
 [51]

فحق الكفار العداوة والبغضاء حتى يؤمنوا بالله وحده ، وأن تُهَيِّئَهُمْ حيث أهانهم الله تعالى ، ومن يهن الله فما له من مكرم ، ولذا قال عمر (رضي الله عنه) لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ، ولا أذنبهم إذ أقصاهم الله [10] .
وأما قول عمر : ولا تظلموهم ، فهذا مقتضى العدل والإقسط معهم ، كما قال (سبحانه) : **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** [الممتحنة : 8] .

ففرّق عمر (رضي الله عنه) بين حسن المعاملة مع الكفار وبغض الكفار والبراءة منهم ، فلا يصح الخلط بين الأمرين ، فَيُجْعَلَ الْعَدْلُ وَالْإقْطَاطُ مع الكفار محبة وموالة للكفار ، كما لا يصح أن يُجْعَلَ بغضهم وعداوتهم ظلماً وتعدياً [11] .
يتبين في ردود الصحابة على المخالفين : حدة أذهانهم ودقة أفهامهم ، ومما يوضح ذلك أن عطاء بن يسار لما سأل أبا سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن الحرورية ، فقال عطاء : هل سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذكرهم ، فقال أبو سعيد : لا أدري مَنْ الحرورية ، ولكنني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : يخرج في هذه الأمة ولم يقل منها قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ... الحديث [12] .
« قال المازري : هذا من أول الدلائل على سعة علم الصحابة (رضي الله عنهم) ودقيق نظرهم ، وتحريبرهم الألفاظ ، وفرقهم بين مدلولاتها الخفية ؛ لأن لفظة « مِنْ » تقتضي كونهم من الأمة لا كفاراً ، بخلاف « في » .. » [13] .
يقرر الصحابة (رضي الله عنهم) في ردهم على المخالفين والمبتدعين صلة هذه البدع بالملل والديانات السابقة ، مما يدل على سعة علمهم ، وغزارة معرفتهم ،

وَبُعْدُ أَفْقِهِمْ ، ومن ذلك : مقالة ابن عباس (رضي الله عنهما) : « اتقوا هذا الإرجاء ، فإنه شعبة من النصرانية » [14] . ولاغربة في ارتباط تلك البدع بالملل الأخرى ، فإن الأفكار لا تموت ، ولكل قوم وارث ، وأما توجيه هذا الارتباط بين النصرانية

والإرجاء ، الذي أشارت إليه مقالة ابن عباس فيبدو والله أعلم أن من القواسم المشتركة بين الطائفتين أن النصارى زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه ، كما ادعى المرجئة لأنفسهم وكذا جميع الفساق والعصاة أنهم مؤمنون كاملو الإيمان ، كما يغلب على النصارى التفریط والتقصير ، فلا يرون شيئاً حراماً ولا نجساً ، ويأكلون الخبائث ^[15] ، وشابههم المرجئة في هذا التفریط فضيعوا الواجبات وانتهكوا المحرمات .

وقد ورث سعيد بن جبیر (رحمه الله) هذا العمق وسعة الأفق من شيخه ابن عباس رضي الله عنهما ، فقال سعيد : « المرجئة مثل الصابئة .. » ^[16]

وقد حفلت مرويات الصحابة (رضي الله عنهم) وسيرهم بأنواع من الحوارات الهادفة والردود القوية تجاه المخالفين ، نكتفي بمثال واحد مع التعليق عليه :

عن عمرو بن سلمة الهمداني ، قال : كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قبل صلاة الغداة ، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد ، فجاءنا أبو موسى الأشعري ، فقال : أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد ؟ قلنا : لا ، فجلس معنا حتى خرج ، فلما خرج قمنا إليه جميعاً ، فقال له أبو موسى : يا أبا عبد الرحمن ، إني رأيت في المسجد أنفاً أمراً أنكرته ، ولم أر والحمد لله إلا خيراً ، قال : فما هو ، قال : إن عشت ستراه ، قال : رأيت في المسجد قوماً حلقاتاً جلوساً ، ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل ، وفي أيديهم حصى ، فيقول : كبروا مئة ، فيكبرون مئة ، فيقول : هللو مئة ، فيهللون مئة ، ويقول : سبحوا مئة ، فيسبحون مئة ، قال : فماذا قلت لهم ؟ ، قال : ما قلت لهم شيئاً انتظاراً لرأيك ، قال : أفلا تأمرهم أن

يعدوا سيئاتهم ، وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم شيء ؟ ثم مضى ومضينا معه ، حتى أتى حلقة من تلك الحلق ، فوقف عليهم ، فقال : ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ قالوا : يا أبا عبد الرحمن حصى نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح ، قال : فعدوا سيئاتكم ؛ فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء ، ويحكم يا أمة محمد ! ما أسرع

هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون ، وهذه ثيابه لم تَبَلَّ ، وآنيته لم تكسر ،
والذي نفسي بيده إنكم لعلي ملة هي أهدى من ملة محمد ، أو مفتتحو باب ضلالة ؟ ! قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير ، قال : وكم من مريد للخير لن يصيبه ، إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حدثنا : أن قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، وأيم الله لعل أكثرهم منكم ، ثم تولى عنهم .

فقال عمرو بن سلمة : فرأينا عامة أولئك الحلق يطاعوننا يوم النهروان مع الخوارج [17] .

لقد تضمن هذا الأثر فوائد عديدة ودروساً مفيدة ، فنذكر بعضاً منها [18] :

1- ضرورة الرجوع إلى فهم الصحابة (رضي الله عنهم) للنصوص الشرعية ، والاستعانة بتفسير الصحابة للسنّة النبوية .
فالصحابه (رضي الله عنهم) شهدوا تنزيل القرآن ، وعرفوا خاصّه وعامّه ،

وهم أعلم الأمة بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسيرته ومقاصده [19] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومعلوم أن كل من سلك إلى الله (عز وجل)

علماً وعملاً بطريق ليست مشروعة موافقة للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة

وأئمتها ، فلا بد أن يقع في بدعة قولية أو عملية ، فإن السائر إذا سار على غير

الطريق المَهْتَج فلا بد أن يسلك بنيات الطريق » [20] .

2- أن الإعراض عن فقه الصحابة لنصوص الوحيين من أسباب الزيف

والضلال ، وهذا ما أشار إليه ابن مسعود (رضي الله عنه) بقوله : « والذي نفسي

بيده إنكم لعلي ملة هي أهدى من ملة محمد ، أو مفتتحو باب ضلالة ؟ ! » ،

وصدق ابن مسعود (رضي الله عنه) ، وصحت فراسته ، فقد آل الأمر بهؤلاء إلى

أن سلكوا طريق الخوارج الضالين ، قال (تعالى) : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ

بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : 103 ، 104] .

3- أن البدع والانحرافات تبدأ شيئاً فشيئاً ، ، فأول ما تكون شبراً ثم تصير ذراعاً ، ثم تؤول إلى أُميال وفراسخ ، فبداية هؤلاء : الإعراض عن سنة التسبيح بالأنامل ، والاشتغال بالذكر بطريقة مبتدعة .. إلى أن انتهى بهم الأمر إلى الخروج عن جماعة المسلمين وقتال أهل الإسلام .
وقد أشار الإمام مجاهد (رحمه الله) إلى تدرج البدع ، وأنها طريق إلى الشرك ، فقال : « يبدؤون جهمية ، ثم يكونون قدرية ، ثم يصيرون مجوساً [21] » .

ويقول ابن تيمية في هذا المقام :
« ولهذا كان الرفض أعظم أبواب النفاق والزندقة ، فإنه يكون الرجل واقفاً ، ثم يصير مُقَصِّلاً ، ثم يصير سبباً ، ثم يصير غالياً ، ثم يصير جاحداً معطلاً [22] » .

4- أن النية الحسنة وإرادة الخير لا تكفي وحدها ، كما قال ابن مسعود : «
وكم من مريد للخير لن يصيبه » ، فيتعين الاتباع للسنة وموافقة الصواب ، فليس العبرة بالإكثار من العبادة دون اتباع وسنة ، ولذا قال ابن مسعود أيضاً : « اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة » [23] .

5- أن ثمة تلازم بين مخالفة الحق ووقوع العداوة والبغضاء ، فإن الخوارج وكذا أهل الأهواء عموماً لما أعرضوا عن السنة وفقه الصحابة فهموا القرآن حسب أهوائهم وقد أدى بهم ذلك إلى أن جعلوا القرآن عضين ، فأمنوا ببعض الكتاب ، وكفروا ببعضه ، مما أوجب العداوة والبغضاء فيما بينهم ، وفي المقابل ؛ فإنه لما آمن الصحابة ومن تبعهم بإحسان بجميع النصوص الشرعية : أورثهم ذلك اجتماعاً

واتفاقاً ؛ قال (تعالى) : **﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا تَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَعَزَّيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾** [المائدة : 14] .

يقول ابن تيمية في بيان معنى هذه الآية : « فأخبر أن نسيانهم حظاً مما ذكروا به وهو ترك العمل ببعض ما أمروا به كان سبباً لإغراء العداوة والبغضاء بينهم ،

وهكذا هو الواقع في أهل ملتنا مثلما نجده بين الطوائف المتنازعة في أصول دينها
وكثير من فروعه » [24].
وفي ختام هذه المقالة : أسأل الله (تعالى) أن يرزقنا الفقه في الدين ، وأن يحشرنا في زمرة النبيين والصديقين ، وبالله التوفيق .

- (1) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ج 28 ص 231 .
- (2) سير أعلام النبلاء ، ج 10 ص 518 .
- (3) مجموع الفتاوى ج 10 ص 301 : 303 باختصار ، وانظر الفوائد لابن القيم ص 101 .
- (4) أخرجه أحمد ج 2 ص 178 ، وابن ماجه 85 ، وانظر أصول اللالكائي ج 3 ص 627 ، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ، ج 1 ص 138 : 141 .
- (5) أصول اللالكائي ، ج 3 ص 588 .
- (6) أصول اللالكائي ج 3 ص 625 ، وانظر ج 3 ص 669 ، والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد ج 2 ص 416 .
- (7) انظر مرويات هذه القصة في : الفتح الرباني للساعاتي ، ج 23 ص 160 ، والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد ج 2 ص 644 ، وانظر : الاعتصام للشاطبي ج 71 : 73 ص 1 ، والآداب الشرعية لابن مفلح ج 2 ص 24 .
- (8) أخرجه ، أحمد ، ج 5 ص 182 ، وأبو داود ج 4699 ، وانظر : السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ، ج 2 ص 388 ، وأصول اللالكائي ج 3 ص 612 : 673 .
- (9) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ت محمد عفيفي ج 2 ص 398 .
- (10) انظر أحكام أهل الذمة لابن القيم ت : صبحي الصالح ، ج 1 ص 211 .
- (11) انظر الفرق بين الإحسان لأهل الذمة والعداوة لهم في كتاب الفروق للقرافي ، ج 3 ص 1 ، 15 .
- (12) أخرجه مسلم .
- (13) صحيح مسلم بالنووي ، ج 7 ص 164 .
- (14) أخرجه اللالكائي ، ج 3 ص 631 .
- (15) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج 1 ص 31 ، ج 2 ص 52 .
- (16) أخرجه : عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ، ج 1 ص 324 ، وابن بطة في الإبانة الكبرى ، ج 2 ص 888 .
- (17) أخرجه الدارمي ج 1 ص 79 ، وانظر الصحيحة للألباني ج 2005 .
- (18) أورد الكاتب أحمد سلام بعض المعالم المهمة والمستفادة من هذا الأثر في كتابه ما أنا عليه وأصحابي ص 47 51 .
- (19) انظر مجموع الفتاوى ، ج 4 ص 158 ، ج 7 ص 390 .
- (20) شرح الأصفهانية ، ص 129 .
- (21) أخرجه اللالكائي في أصول أهل السنة ، ج 3 ص 645 .
- (22) مجموع الفتاوى ، ج 4 ص 428 .
- (23) أخرجه اللالكائي في أصول أهل السنة ، ج 1 ص 55 .
- (24) مجموع الفتاوى ، ج 1 ص 14 .

مذكرات قارئ كتاب الوسادة

بقلم :محمد بن حامد الأحمرى

قرأت في مقالة لطفه حسين : أنه كان يتخذ كتاباً سهلاً يسيراً ، يقرأ فيه قبيل النوم على طريقة المثقفين فيما يسمونه كتاب الوسادة ، وأعجبني الفكرة ، فتناولت كتاباً قبيل النوم بقصد أن يجلب لي النوم ، وبعد ليلة أو ليلتين ثبت لي جدوى الفكرة وسرعة تأتّي النوم ، وما هي سوى بضعة أيام حتى وجدتني أسقط نائماً بعد أسطر من قراءة أي كتاب في أي وقت ، قبل النوم أو بعده ، مساءً أو صباحاً ، وأصبح الكتاب عقاراً منوماً أقوى من أي منوم ، وتذكرت صديقي الذي طالما كنت أسخر من تنويم الأسطر له ، فقد كان تلازم الكتب والنوم عنده مثار النكتة والسخرية ، وكان خفيف الظل خلوقاً مبتلى بالنوم أول ماتقع عيناه على الأسطر ، وقد كان بعض زملائه (العاربن) يرقبه عندما يضع بين يديه « فتح القدير » بطبعته الضخمة الصفراء ، وماهي إلا دقائق حتى يميل المجلد الضخم ، ويسقط أخوناً فوقه نائماً ، ويعود زميله للحديث عن المشهد مساءً . استحضرت ذلك المشهد مشهد زميلي ساقطاً فوق الكتب (وكان ينجح إذا نجح على حافة النجاح) وقد عرفته من خير الناس خلقاً وديناً ورجولة (وفاءً بحقه قلت هذا) وهو خير مما قلت عنه ، وأعلم أنه لن يقرأ هذه الأسطر فهي في وسط المقال ! ! ، وصاحبي لو حاول القراءة فما أراه يصل إلى هنا إلا وقد نام ، فلا أظنه يقرأ مدحي له . فتملكني الخوف من هذه الطريقة الفاشلة في القراءة ، وشككت في فكرة كتاب الوسادة حين أصبح كل كتاب كتاباً للوسادة ، وعزمت على ترك رأي طه حسين أسفاً له أنه لم يناسبني ، ومرت أيام فإذا بي أجد أن مارون عبود كان يجعل القرآن كما زعم كتاباً للوسادة يقرأه قبيل النوم رغم مارونيته وقد زعموا حفظه له ، وقد

وجدت من كتبه العديدة حسن استحضاره للآيات ، فتبيّنت أنه كان حسن
الصلة به ،
والله الهادي ، لكنني لا أعلم أن (أبا محمد) ! ! قد أسلم ، وقد كان أولى به
هذا ، وأن
يتبع سابقه أحمد فارس لشدياق ، وكان معجباً به وقد كتب عنه
كتاباً .
ومر زمن حتى وجدتني أقرأ للإمام الغزالي نصيحته لطالب العلم
بالجد
والعزيمة في القراءة ، وألا يستسلم للنوم حتى يقهره ولا يجد منه ملجأ ،
وفرحت
بقول أبي حامد ؛ لأنه ناسب هوى في نفسي ، وقد كنا جرينا على
الاستسلام للكلام
الآخرين وعدم معرفة مناسبة أقوالهم لأحوالنا ، وهذا داء دوي للمثقفين في
كل مكان
وعصر ، إذ هم قطعان هائمة تلحق مقدمها وهو منها كاتب أو شاعر أو
مفكر أو
روائي تهيم وراءه بلا عقل ، فإياك إياك وأخلاق المثقفين هذه ، فإن
عقولهم أحياناً
أصغر جداً من ثقافتهم ، ومعارفهم وقراءاتهم الواسعة هشيم حصادة
للآخرين ، أو هم
في سبيل حصاده ، أو تلقى فيه شرارة وعي تلتهمه فتتغذى به ؛ لأن
الثقافة غالباً
مادة لشيء آخر أو هي لا تثمر في فراغ ، فلا بد لها من سياق يحتويها أو
عمل
تسعى له أو قضية تخدمها ، فهي وقود لشيء غيرها ، ولا تظهر دون خدمة
هدف ،
ثم سهرت ليالي مع أبي حامد وغيره كانت أنفع لي من كتاب الوسادة ،
ومن بعد ؛
تذكرت **خذ الكتاب بقوة** ، وإنه وإن كان الكتاب في الآية غير الكتاب
هنا ،
ولكن مبدأ الجد والفاعلية والتجاوب والأخذ والعطاء مع النص هو ما كُتب له
الكتاب ، وكل كتاب يكتبه الجادون من الناس ، والذي غاب عني وقتها
أنني كنت قبل
العشرين وكان طه قد نيف على السبعين ، وكان لا يطيق النوم ولا يجد له
سبيلاً ،
فيتحایل عليه بالقراءة المنومة ، وكسل الصبا ونومه كان يدعوني من كل
باب للنوم ، وشتان شتان بين الحاليين ، وقراءة الشباب غير قراءة
الشيوخ .
ذاك ما كان من حديث كتاب الوسادة ، وكان الأولى لي : (خذ
الكتاب بقوة)
وخذ ما يناسبك من الحاليين أو غيرهما ، ولا تلتزم قولي ؛ فإن الخلاصة
أن لكل

قارىء طريقه ، ولي عودة إلى قوة القراءة .

ثمرات المنتدى الأنشطة الثقافية الصيفية للمنتدى الإسلامي

يحرص المنتدى الإسلامي على ترشيد العمل الإسلامي وتنشيطه ،
وذلك بنشر العلم الشرعي الصحيح والتربية الإسلامية المتوازنة في أوساط المسلمين
عموماً ،
وفي أوساط الدعاة وطلبة العلم خصوصاً ، وقد كان صيف هذا العام
ولله الحمد
والمنة حافلاً بالعديد من الأنشطة الدعوية والبرامج التربوية ، وسوف
نعرض عدداً
منها في هذا التقرير المختصر .

أولاً : الملتقيات الدعوية

1- الملتقى الدعوي التاسع عشر في بريطانيا :

عقد الملتقى في مدينة « لستر » في يومي التاسع والعاشر من
شهر ربيع
الأول من عام 1416هـ ، وكان عنوان الملتقى « الابتلاء .. طريق التمكين
» ،

ومن أبرز المحاضرات التي أقيمت :

- (أ) دور التربية في التمكين .
- (ب) المسلمون في الغرب وسنة الابتلاء .
- (ج) من صور الابتلاء في حياة الدعاة .
- (د) تمكين الدين بين الجموح والجهود .
- (هـ) المرأة وابتلاءات الدعوة .

2- الملتقى الدعوي الثالث في غرب إفريقيا :

عقد هذا الملتقى في مدينة « لومي » في جمهورية التوجو ،
واستمر لمدة
ثمانية أيام من 3 إلى 10 ربيع الأول من عام 1416هـ ، وشارك فيه 150
داعية
من ثمان دول ، وهي : بنين ، والتوجو ، وغانا ، ونيجيريا ، ومالي ، والنيجر ،

والسنغال ، وبوركينا فاسو .

ومن أبرز المحاضرات التي أقيمت :

- (أ) التربية الجادة ضرورة .
- (ب) الإيجابية في حياة الداعية .
- (ج) اتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- حقيقته ومظاهره

(د) كيف تعد خطبة الجمعة ؟

بالإضافة إلى البحوث والندوات التي قدمتها الوفود المشاركة ،
ومنها :

(أ) نظرات في دعوة المرأة في غرب إفريقيا . (في هذا العدد تلخيص
يجمع
البحوث المقدمة في هذا الموضوع) .
(ب) المنهج الشرعي في التعامل الصحيح مع أصحاب الطرق
الصوفية .

كما تميز هذا الملتقى بإعداد دورتين متخصصتين هما :
(أ) دورة في الإدارة وأساليب التخطيط والتنظيم .
(ب) دورة في تنظيم الدورات والأنشطة العلمية والتربوية

3- الملتقى الدعوي الثالث في شرق إفريقيا :

عقد هذا الملتقى في مدينة « ممباسا » في كينيا ، واستمر ثمانية
أيام من 3
إلى 10 ربيع الأول من عام 1416هـ ، وشارك فيه 100 داعية قدموا من
عدة
دول ، منها : كينيا وتنزانيا والصومال وأوغندا .
وقد قسمت أيام الملتقى قسمين :
الفترة الصباحية : وتقدم فيها الدروس العلمية المتخصصة
مثل :

(أ) شرح العقيدة الواسطية .
(ب) دروس منتخبة من بلوغ المرام .
(ج) دروس في علم التفسير وأصوله .
الفترة المسائية : وتقدم فيها المحاضرات والأنشطة العامة ، ومن
أبرز
المحاضرات :

(أ) حيلة التقريب بين السنة والشريعة .
(ب) مقاصد التشريع الإسلامي .
(ج) الهجر الممنوع والهجر المشروع .
(د) العلمانية وآثارها في العالم الإسلامي .
(هـ) الحزبية : معالمها وآثارها وأخطارها .
كما قام الشيوخ المشاركون في الملتقى بإلقاء الدروس والمحاضرات

في مساجد
المنطقة وبعض مدارسها ، مما كان له الأثر الكبير على عامة المسلمين
ولله الحمد .

ثانياً : الدورات الشرعية :

1- الدورة الشرعية الثامنة للدعاة في بريطانيا :

عقدت الدورة في مبنى المنتدى الإسلامي في لندن لمدة أسبوعين
من 11 إلى
23 ربيع الأول من عام 1416هـ ، حضرها 44 طالباً ، ووزع فيها
الدارسون
على التخصصات التالية : العقيدة والحديث والفقه ، وقام المشاركون
في الدورة
برحلة جماعية .

وعلى هامش الدورة أقيم عدد من المحاضرات العامة ،
منها :

(أ) الغلو في الدين أسبابه وأثره على وحدة المسلمين .

(ب) المصلحة الشرعية : ضوابط ومقاييس .

2- الدورة الشرعية الثانية للناطقين بالإنجليزية في بريطانيا

:

عقدت الدورة في مبنى المنتدى الإسلامي في (لندن) ، وشارك
فيها عشرة
طلاب فقط .

3- الدورة الشرعية لإعداد الدعاة في نيجيريا :

عقدت الدورة في مدينة « كانو » في شمال نيجيريا ، واستمرت
لمدة أسبوع

من 20 إلى 26 ربيع الأول من عام 1416م هـ ، وشارك فيها 120 داعية
من

13 ولاية من ولايات نيجيريا .

وقد قسم الدارسون قسمين ، وألقي عليهم عدد من الدروس
المتخصصة في

العقيدة والتفسير والسيرة النبوية ، بالإضافة إلى عدد من المحاضرات
والندوات
العامة .

ولله الحمد ، فقد قام الشيوخ المشاركون في الملتقى بزيارة
المراكز الإسلامية

والمساجد مما كان له الأثر البالغ في المنطقة .

4- الدورة الثالثة لمدرسي المدارس العربية والإسلامية في

نيجيريا :

عقدت الدورة في مدينة « جوس » في نيجيريا ، وشارك فيها 350
مدرساً

من مدرسي المدارس العربية والإسلامية المنتشرة في جوس وضواحيها .
واستمرت

الدورة لمدة أسبوعين كاملين .

وقد قسم المشاركون في الدورة ثلاثة أقسام حسب مستوى
تحصيلهم العلمي .

ومن أهم موضوعات هذه الدورة :

(أ) وجوب التزام منهج السلف الصالح في العقيدة
والسلوك .

(ب) عقيدة أهل السنة والجماعة وضوابط التكفير .

(ج) البدعة أسبابها وعلاجها .

(د) واجب المسلم نحو الصحابة (رضي الله عنهم) .

5- الدورة الثانية لإعداد الأئمة والدعاة في أوغندا :

عقدت الدورة في مدينة « كمبالا » في أوغندا ، لمدة عشرة أيام من
13 إلى

23 ربيع الثاني 1416هـ شارك فيها ثلاثون إماماً وداعية من أئمة ودعاة
14

محافظة أوغندية ، وقد قُسم الدارسون قسمين ، و قدمت لهم دروسٌ في
العلوم التالية :

* التلاوة والتجويد . * العقيدة . * التفسير . * الفقه .
* الحديث . * السيرة النبوية . * اللغة العربية * الخطابة .
بالإضافة إلى عدد من المحاضرات والأنشطة التربوية الأخرى ، وكان

من

أبرز المحاضرات :

(أ) خطورة الشرك ، وبيان أنواعه عند قبيلة الباقتا (أكبر قبيلة في
أوغندا) .

(ب) دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام .

(ج) من أخلاق الدعاة والأئمة .

6- دورة شرعية لمدرسي حلقات القرآن الكريم في

التوجو :

عقدت الدورة في مدينة « لومي » لمدة أسبوع من 10 إلى 14 ربيع

الأول

من عام 1416هـ ، وتهدف إلى نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة بين

المدرسين ،

ومن ثم تربية النشء عليها ، كما تهدف أيضاً إلى تحسين الأداء العلمي

والإداري

للمدرسين ، وقد بلغ عدد المشاركين (103) مدرسين ، (39) مدرساً منهم

من مدرسي

حلقات المنتدى الإسلامي ، و64 مدرساً من غيرهم) .

7- دورة شرعية لمدرسي حلقات القرآن الكريم في غانا :

عقدت الدورة في مدينة « أكرا » لمدة أسبوع من 19 إلى 25 ربيع

الأول من

عام 1416هـ ، وقد بلغ عدد المشاركين (105) مدرساً ، (80) مدرساً من

مدرسي

حلقات المنتدى الإسلامي ، و 25 مدرساً من غير مدرسي حلقات

المنتدى) .

8- دورة شرعية لتأهيل الدعاة في بنجلاديش :

عقدت الدورة في مدينة « دكا » واستمرت لمدة عشرين يوماً ،

وكانت دورة

مكثفة من 15 صفر إلى 5 ربيع الأول من عام 1416هـ ، وشارك فيها (

50)

داعية وإماماً جامعياً .

9- الملتقى التربوي العلمي الأول في جيبوتي :

عقد الملتقى في جيبوتي لمدة تسعة أيام من 20 جمادى الثانية إلى

الأول من

رجب من عام 1416هـ ، وشارك فيه خمسون داعية .

10- الدورة الشرعية النسائية الأولى في كينيا :

عقدت الدورة في مدينة « نيروبي » لمدة خمسة أيام من 18 إلى 23 ربيع الأول من عام 1416هـ ، وشاركت فيها (61) طالبة تتراوح أعمارهن ما بين 14 و18 سنة .

وقد قدمت فيها دروس في العقيدة والتجويد وأحكام الصلاة وأحكام النساء ونوقشت بعض المشكلات السائدة في بلاد المسلمين كالتهرج والاختلاط ونحوهما . وكان لهذه الدورة أثر طيب يشجع على المزيد من هذه الدورات النسائية بحول الله وقوته .

ثالثاً : المخيمات الدعوية الشبابية :

تهدف هذه المخيمات الشبابية إلى احتضان الشباب المسلم وتربيته تربية إسلامية ناضجة ، وتقديم البديل الإسلامي المتميز لاحتواء الشباب وصقل قدراتهم وتنمية إمكاناتهم . ومن أبرز المخيمات التي أقامها المنتدى الإسلامي في صيف هذا العام :

1- المخيم الطلابي في مالي :

أقيم هذا المخيم في مدينة « سيكاسو » في مالي ، وشارك فيه (200) طالب ، تم ترشيحهم من المدارس العربية والفرنسية من (12) مدينة وقرية ، واستمر المخيم أسبوعاً كاملاً من 18 إلى 23 ربيع الأول من عام 1416هـ . ومن أبرز المحاضرات التي أقيمت في المخيم :

(أ) نواقض الإسلام .

(ب) الصلاة ومكانتها في الإسلام .

(ج) دور الشباب المسلم .

(د) مرض الإيدز أسبابه وأخطاره .

2- المخيم الطلابي الثاني في كينيا :

أقيم هذا المخيم في مدينة « مرتي » في كينيا ، وقد قسم المخيم قسمين منفصلين تماماً :

الأول : للشباب ، والثاني : للشابات .

وكان مجموع المشاركين (200) شاب وشابة ، واستمر المخيم لمدة عشرة أيام ، كانت حافلة بالعديد من الأنشطة والبرامج الدعوية والتربوية .

3- مخيم الطلبة الجامعيين الأول في غانا :

أقيم هذا المخيم في مجمع الصديق التعليمي التابع للمنتدى الإسلامي في مدينة

يناكروم ، واستمر لمدة أسبوع ، شارك فيه (118) طالباً انتخبوا من
الطلاب
المتميزين من جامعات غانا الأربع ، مما ساعد في إنجاح برامج المخيم
وإثرائها
بالعديد من المشاركات الناضجة .
وختاماً : فهذه بعض أنشطة المنتدى الإسلامي الثقافية التي أقيمت
في صيف
هذا العام ، ونسأل الله (عز وجل) بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، أن
يوفقنا للمزيد
من الصالحات وأن يبارك في جهودنا ويجعلها لوجهه خالصة .. وصلى الله
على
محمد وآله وصحبه وسلم .

الورقة الأخيرة اللهم لا شماتة

بقلم : أحمد عبد العزيز

الموت حقيقة يعرفها الجميع ، وهو نهاية كل حي ، ولا يصح بحال أن
يشمت أحد بميت حتى ولو كان كافراً ، وبالأمس تبجح رئيس وزراء العدو الهالك
(إسحاق رابين) وهو في ذروة السلطة بأنه أمر باغتيال زعيم فلسطيني في مالطة ،
وسبق للسلطات الصهيونية أن قالت في أكثر من مناسبة : إن يدها طويلة تصل
إلى أي فرد أو دولة تهدد كيائها ، ولم تمض ساعات حتى خر رابين صريعاً متشحطاً
بدمائه ، وقامت قيامة يهود ولم تقعد ؛ خوفاً وهلعاً من أن تكون يد
فلسطينية نفذت ما هددت به من الدعوة لاستئصاله في أقرب فرصة ، لكن القوم صدموا بأن الذي
ارتكب هذه الفعلة هو شاب صهيوني متدين غارق في صهيونيته ، أخذ على رابين
اندفاعه لما يسمى بالسلام وتفريطه فيما سماه بأرض إسرائيل ، وأنه ليس نادماً على
ما فعل ، وقالت وسائل الإعلام : إن الشاب متطرف إسرائيلي وأن التطرف
خطر على التوجه نحو السلام ونسوا أو تناسوا ومعهم بعض الصحف العربية
المشبوهة . (المتطرفة علمانياً « أن دولة يهود قامت على أسس دينية ، بل على
منطلقات تلمودية متطرفة ، وأنها غرست بذرة التطرف في أجيالها ، وسمحت
لأحزاب دينية بالعمل في وضوح النهار ، بل إن بإمكانهم لو شاركوا في إحدى الوزارات
سحب ثقتهم منها ، وبالتالي سقوطها لو أرادوا . هذا التطرف لم تسلط الأضواء لكشفه والتحذير منه ؛ لأن فعل ذلك
يعني : أن العدو الصهيوني عينه يكشف نفسه بنفسه ، ويفضح اتجاهاته (إياها)
الغارقة في أحلام صهيون الزاعمة أن أرضهم من الفرات إلى النيل ، وهذا ما تتجاهله
الصحافة العلمانية . إن حزب العمل اليساري أو الليكود اليميني وجهان لعملة واحدة ،
وسواء أحكم

(بيريز أو ناتان ياهو) ؛ فالعقلية الصهيونية واحدة في العداء لأمتنا ولديننا
وهم وإن
تظاهروا بالحدب على السلام إنما لكونه سيعطيهم الأمان في بحر من
الأعداء يحيط
بهم ؛ لاغتصابهم أرضه ومقدساته .
وفي الوقت نفسه ستتيح لهم (الشرق أوسطية الجديدة) فتح
أسواق عربية
لاستهلاك معطيات اقتصادهم ؛ فضلاً عن التوجه السياحي الذي سيعرق
فيه فئات
من الناس ، ستتداعى عليهم كتداعي الذباب على الشراب أمام مغريات
يهود في نشر
الفاحشة والتفنن في عرضها .
إن مصرع رابين عظة وعبرة لكل ظالم ومفتري ، وبخاصة من يسومون
الناس
سوء العذاب وبصادرون خيارهم ، ويعملون على تهميش فئات معينة ؛ وما
ذاك إلا
خوفاً من أن تسحب البسط من تحت أرجلهم فنذكرهم بقوله تعالى ﴿ وَلَا
يَجِئُ الْمَكْرُ
السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر : 43] والعقل من اتعظ بغيره .
والله من وراء القصد ، ، ،

تمت بعون الله والحمد لله